

روايات مصرية
2
ميتافيزيقا
تتجاوز حدود الطبيعة أو ما وراء الطبيعة
خادم الكونت
Looloo
www.looloolibrary.com
أحمد فكرى

مقــدمـة

ميتافيزيقا ...

مصطلح يعنى الأشياء التى لا تخضع لقوانين الطبيعة ، أو يمكن التعبير عنها مجازيًا ، بأنها الأشياء التى تتجاوز حدود الطبيعة أو ما وراء الطبيعة .. وقد أتت الكلمة من الكلمتين اليونانيتين (μετά) ومعناها (ميتا : ما وراء أو بعد) و (φυσικά) وتعنى (فيزكا : مادى أو طبيعى) .

* * *

البــدايــة ..

رومانيا 1452

بالتحديد فى قصر حاكم ولاية ولاكيا أو ولاشيا بالرومانية .. شمال نهر الدانوب ..

لو اقتربنا أكثر ودلفنا إلى داخل ذلك القصر المنيف ، لشاهدنا الآتى ..

هنالك بهــو لا بأس به وفى المنتصف وضــعت مائدة ضخمة بدورها وضع عليها أصناف شتى من الطعام الذى يصلح لإطعام سكان الولاية بأكملها ..

جلس عليها ستة أشخاص تقريبًا .. لو دققت الوصف أكثر لقلت إنهم يرتدون ملابس تجعلهم أقرب إلى المهرجين ، كل منهم يرتدى عباءة وقبعة غريبة الشكل .. أما كبير القعدة أو أمير البلاد فهو (فلاد تيبيس) .. ذو شارب كث كالمسطرة فى وجهه .. شعره طويل ، ينسدل على منكبيه وظهره ، يرتدى خوذة مرصعة بالماس الخالص جديرة بحاكم البلاد ..

هنالك حالة من التوتر الشديد بين ذلك الجمع .. على ما يبدو أن هنالك مصيبة ما على الأعقاب لذا فهم مجتمعون الآن ..

ينهض (فلاد) فى عصبية واضحة وهو يصرخ قائلاً بضع كلمات بالرومانية .. لن نتبين منها حرفًا ، لكننا لو ترجمنا ما قاله لوجدناه يقول الآتى :

ــ لقــد علمت أنه قد أعد جيشًا جرارًا كى يأتينى به كى يحاربنى .. ويستولى على البلاد بعد أن استولى على طرابزون التركية .

ــ إن ذلك الرجل يجب أن يؤدب .. يجب أن يعرف أن الأمراء لا يشبهون بعضهم البعض ..

قالها رجــل ما من الجالسين يدعى (ديماس) ، كنــوع من أنواع (التســخين) ، ثم جلس تاركًا (فــلاد) وقــد غلى الدم فى عروقه ثم صاح :

ــ نعم يجب أن يدرك جيدًا أننى لست مثلهم .. لست مثل (طوماس) باليولوج ولا أخيه (دميتريوس) .. يجب أن يعلم جيدًا أننى لست لقمة سائغة ..

ــ لكن الأمر ليس بهذه السهولة ..

قالها شخص من الجالسين ، فنظر إليه تيبيس نظرة ذات معنى ، ثم ابتسم ابتسامة صفراء ، وأضاف :

ــ ما الذى تقصده يا « فولموج » ؟

أرتبك الرجل قليلاً ثم أخذت الكلمات تتلعثم فى فيه وقال :

ــ لــ .. لل .. لا شىء .. لا أقصد شيئًا ..

ــ بل تقصد فو .. تقصد أننا ضعفاء ولا قبل لنا بهم ..

ــ لــ ...

كاد الرجل أن يتحدث لولا أن (فلاد) بتر كلمته صارخًا :

ــ (منيور) ..

نظر الرجــل إلى (منيور) هــذا ، الذى أتى ، ليجــده أســمر عملاقًا ذا شارب ، يضع فى جانبه عدة أسلحة كأنه سيدخل حربًا وحده الآن .. أتى فى عجالة ثم تسمر أمام (فلاد) قائلاً :

ــ أمرك يا مولاى ..

ابتسم (فلاد) مرة أخرى ثم قال وهو ينظر إلى (فولموج) :

ــ إن (فولموج) يقــول : إننى ضعيف ولا قبــل لى بمقابلة جيش (محمد خان) ..

لم يحرك الرجل ساكنًا سوى أن نظر إلى (فلاد) مرددًا ذات العبارة :

ــ أمرك يا مولاى ..

هنا كان ((فولموج)) قد غرق فى عرقه الذى تصبب من كل فتحات جسده ، ثم حاول أن يتحدث إلى (فلاد) ، لكن (فلاد) كان قد أشار إلى (منيور) هذا ، الذى على ما يبدو أن دوره أشبه بالسياف أو شىء من ذلك القبيل والذى فهم إشارته وماذا أراد بها ، فأخرج من جانبه سكينًا لا بأس بها ودون كلمة أخرى أمسك برأس ذلك الــ (فولموج) ليذبحه فى

سرعة رهيبة ، ليجد الجمع أن (فولموج) الذى كان يتحدث إليهم منذ ثوان معدودة أصبح جثة هامدة ، ورأسه على مائدة العشاء أمامهم !!

مرت دقائق ساد الصمت فيها ثم ودون مبالاة انحنى (منيور) ليحمل الجسد المقطوع رأسه على كتفيه ومن ثم ينصرف ..

* * *

كـــارثـة !!

المكان هو رومانيا عام 2009..

تحديدًا فى (إيلفوف) إحدى مقاطعات إقليم مونتينيا ..

أما لماذا ذلك العنوان بالتحديد ؟

ببساطة لأن هنالك كارثة قد حدثت ..

المشهد كالآتى ..

لا يوجد فى ذلك الشارع الإضاءة الكافية كى ترى من على بعد لماذا يلتف هؤلاء القوم هكذا ؟!

بكل تأكيد هنالك مصيبة ما كما قلت ، وإلا فلماذا هم مجتمعون فى هذه الساعة وفى ذلك الطقس البارد !!

الكل يتبادل أطراف الحديث فى شىء من الهمهمة ، فلا تسمع إلا همسًا ، حتى لو سمعت شيئًا فلن تفهمه ، لأنهم يتحدثون الرومانية .

يقف المفوض بعد أن ألقى نظرة على تلك الجثة ، ثم يحك ذقنه قائلاً :

ــ ما رأيكم فيما قلت ، أيها القس ؟

يقولها للقس ، الذى أخذ يتمتم ، ببضع كلمات ، فى سره ، ثم أضاف راسمًا الصليب فى الهواء :

ـ لا أعتقد ذلك أيها المفوض .. فهذه ليست المرة الأولى .. وأنت تعى هذا .. فقد حدث مثل ذلك منذ أيام فى قصر الكونت (فلاد) ، عندما وجدوا الحارس الخاص بالقصر ، وقد تمزقت عنقه هو الآخر !

ينظر له الشرطى ، وهو يتساءل ، قائلاً :

ـ إذًا ما الذى تعتقده ، أيها القس ؟

ينظر إليه ، وهو يعيد رسم الصليب ، ويضيف :

ـ فامفيرى !!!!

دعونا من ذلك المشهد الآن ، ونذهب إلى آخر حتى يحين دوره فى تلك القصة ..

* * *

متيـاس كورفينـوس

مرة أخرى نعود إلى عام 1462 ..

لقد أعددت وفدًا للذهاب إلى ذلك السلطان ، كى يخبروه بأننى سوف أدفع جزية سنوية قدرها عشرة آلاف دوكا[*] بشرط أن يُصادق على جميع الشروط الواردة بالمعاهدة التى أبرمت فى سنة 1393 بين أمير الفلاخ أو أمير الولاية آنذاك والسلطان بايزيد الأول[**] .

قالها الكونت (فلاد) وسط ذهول الجالسين ، حيث نظر بعضهم إلى بعض غير مصدق ..

فلاد يفعل ذلك ؟!.. (فلاد) الملك المتغطرس يفعل ذلك .. يقبل على نفسه أن يدفع جزية مقابل ألا يحارب ؟!

ابتسم (فلاد) بجانب فيه ، ثم أضاف :

بالطبع هذه مجرد خدعة ، وبالطبع أيضًا لن أدفع شيئًا .

(*) دوكا / العملة التى كانـــوا يستعملونها آنذاك .. وهى عملة فينيسيا تعادل 3.5 غرامات ذهبًا .

(**) بايزيد الأول / هو بن مراد الأول بن أورخان غازى هو رابع سلاطين الدولة العثمانية حكم بين عام 1389 و1402 بلغت الدولة العثمانية فى عهده من العزة والمجد .. وكذا هو أول سلطان عثمانى يحاصر القسطنطينية وأوشك أن يفتحها إلا أنه لم يستطع ذلك

إذًا لما ؟

قالها شخص يدعى آرثر متسائلاً ..

فنظر إليه (فلاد) وهو يضيف :

حتى يكون لدى سعة من الوقت ، أستطيع فيها أن أذهب إلى كورفينوس .

ملك المجر !

نعم هو ذا .. لقــد تجهزت للذهاب إليه اليــوم .. ســوف أخبره بأن (محمد) على المشارف ويجب أن نتحــد حتى نردعه ، ونرده إلى حيث جـــاء .

وأن أبى ؟!

لن يأبى .. أنا أعرفه جيدًا ..

* * *

سوف أقبل ذلك منك يا (فلاد) ، لكن مقابل ماذا ؟

نظر له (فلاد) ثم ابتسم ابتسامته الساخرة ، وأضاف :

أنا وأنت مصلحتنا واحدة ، لكنى لن أستطيع مواجهة قوات (محمد) وحدى ، وأنت تعى ذلك ، وأنت الآخر لن تستطيع فعل ذلك وحدك ..

نظر له ملك المجر ، ثم نهض قاطعًا غرفة القصر جيئة وذهابًا ، وأضاف :

أوافق .

ابتسم (فلاد) مرة أخرى ..

* * *

فى رومـانيـا ..

ـ تقع رومانيا فى شرق أوروبا وعاصمتها بوخارست .. يمر نهر الدانوب فى جنوب البلاد .. وتعد رومانيا من دول البلقان حيث تقع فى شمال البلقان ..

وتقع دلتا الدانوب على أراضيها حيث يصب فى البحر الأسود وجبال الكاربات فى الجنوب وفى وسط البلاد ، ويحدها من الشمال أوكرانيا ، من الشمال الشرقى مولدافيا ، من الشرق البحر الأسود ، من الجنوب بلغاريا ومن الغرب صربيا والمجر .

ـ سئمت هذه المرشدة السياحية ، فهى تشعرنى كأننى فى حصة من حصص الجغرافيا ، وأنا أمقت تلك المادة أساسًا ..

لقد حضرت إلى هنا كى أرى المزارات السياحية فحسب ..

أكملت ، وكأنها مبرمجة على ما تفعل :

ـ تأسست دولة رومانيا الحديثة بعد اتحاد الدولة الرومانية ومولدوفيا بقيادة أليكساندروا إيوان كوزا ، وفى عام 1918م انضمت كل من ترانسيلفانيا ، بوكوفينا وبيسارابيا ، وسميت آنذاك « رومانيا الكبرى » ، فقد كانت أكبر مساحة لرومانيا طوال تاريخها ، وكانت تبلغ «.......... » ..

تنهدت كى تعبئ بعض الهواء داخل رئتيها ثم أخذت تخرجه كلامًا :

ـ رومانيا تعتبر جمهورية ذات نظام تضق رئاسى وهى التاسعة كُبرًا من حيث المساحة , والسابعة من حيث عدد السكان .. وذلك بالنسبة لدول الاتحاد الأوروبى ..

أما عاصمة البلاد فهى بوخارست وهى أكبر مدن رومانيا ، وتحتل المرتبة السادسة من حيث عدد السكان بالنسبة أو بين مدن الاتحاد الأوروبى . وفى عام 2007 كانت مدينة سيبيو عاصمة الثقافة الأوروبية.

أخذت انظر إلى القطيع الذى يسير معظمه غير فاهم أى شىء مما تقوله تلك السيدة ، فوقعت عينى على شخص ما بدا لى أنه عربى ..

اتجهت ناحيته محييًا ، وعرفته بنفسى :

ـ (إبراهيم) فتحى محـام ، لكننى لا أمارس المهنة .. مصرى .. وأنت ؟

نظر إلى مبتسمًا ، وصافحنى قائلاً :

ـ (محمد ياسين) .. تونسى .. أعمل فى شركة سياحية ..

ـ أهلاً وسهلاً ..

ـ أهلاً بك ..

ــ هذه المرة هى الأولى لك فى رومانيا ؟

ــ نعم ، وأنت ؟

ــ كذلك ..

ــ ما الذى جاء بك إلى هنا ؟

« ــ رومانيا عضو فى حلف شمال الأطلنطى منذ 29 مارس 2004، وعضو فى الاتحاد اللاتينى ، وأيضًا فى المنظمة الدولية للفرانكفونية وفى منظمة الأمن والتعاون فى أوروبا . وتوجد محادثات جدية من أجل الدخول فى منطقة شينغن . وهى عضو منظمة التعاون الاقتصادى للبحر الأسود ، وانضمت إلى الاتحاد الأوروبي فى أول يناير عام 2007."

ــ رحله تابعة للشركة التى أعمل فيها .. وأنت ؟

ــ أنا أحب الرحلات .. أعشقها عشقًا ..

ــ لقد قرأت معظم كتب الأديب المصرى الكبير الراحل أنيس منصور الخاصه بالرحــلات .. لقــد قال فى إحداها أن هنالك ثلاثة أنواع من الرحلات .. أن تسافر ، وأن تقرأ الكتب ، وأن تقرأ كتب الرحلات .

ــ وأنت تحب أيًا منها ؟

ــ كلها .. أحب السفر والقراءة ..

ــ أما أنا فأحب السفر ..

قلتها ، ونظرت إلى السيدة لأجدها لا زالت تشرح الموقع الجغرافى لرومانيا .. لو قصدت بذلك (تحلية البضاعة) كى تبيع البلاد لما ذكرت مثل تلك التفاصيل !!

وتملك رومانيا أكبر نسبة غابات غير محمية من أوروبا ، ويدل وجود مجموعــة كاملة من الحيــوانات الغابات الأوروبية على سلامة النظم الأيكولوجية للغابات الرومانية .

* * *



المنـــــدوبين ..

رومانيا 1463..

لقدعلم السلطان (محمد) بأنك قـد غدرت بعهدك معـه بدفع الجزية ، وبأنك لم تفعل ذلك إلا لمجرد إعطاء نفسك فرصة للاتحاد مع الملك (كورفينوس) ..

وقد علم باتحادكما بالفعل لذا أرسل إلينا كى نسألك عن الحقيقة .

قالها أربعة من المندوبين ، الذين أرسلهم السلطان (محمد) الفاتح إلى (فلاد) كى يقطعوا له الشك باليقين باتحاده مع ملك المجر من عدمه .

ابتسم (فلاد) ، وهو ينهض من على كرسيه ، ويتجه إليهم ، ويضع يده على كتفى إحداهم ، ثم نادى على (منيور) ..

الذى تسمر أمامه بهيئته الفظة ..

فنظر إليه قائدهم وهو يضيف :

ـ من هذا ؟

ابتسم مرة أخرى ، وأضاف :

ـ هذا من سيخبركم بالحقيقة .

تبادل الأربعة النظرات إلى بعضهم البعض وقد علموا ما الذى يدور بخلده ، فاستلوا سيوفهم ، لمواجهة ذلك الـ (منيور) ، الذى استل هو الآخر سيفه ، واقترب منهم فى تؤدة ..

صعد (فلاد) ليستقر على كرسيه ، ويشاهد تلك الفقرة الشيقة ..

صاح قائدهم :

ـ لن تفر بفعلتك تلك يا (فلاد) ، سوف يصل ذلك إلى السلطان ..

ابتسم (فلاد) مرة أخرى ، ثم نظر إلى (منيور) نظرة ذات معنى ، جعلته يزمجـر كالدببة ، ويرفـع سـيفه ليهبط به على أحدهم ليشـطره إلى نصفين !! وسـط ذهول الآخرين ، الذين وقفوا يشاهدون صديقهم قد تحول إلى قطعتين متساويتين بالطـول !! ، فرفع آخـر سـيفه وهو يرتعد ثم هـوى به تجـاه (منيـور) ، الذى صَدر له إحدى الدروع الملصـقة بيـده بالكامل ليتفـادى ضربته تلك ، ثم أعـاد سـيفه إلى الخلف وطوحه إلى الأمام ليغمسه بالكامل داخل بطنه ، ليخرج من الناحية الأخـرى ، ثم أخرجـه مرة أخـرى ، ليسقط الرجل على الأرض وسط الدماء ..

لم يتوان القائد بأن وجه ضربة إلى صدر (منيور) ، الذى انحنى ليتفادها ، ويقابلها بضـربة مـن سـيفه ، ليصدها القـائد فى صعوبة من فرط قوتها ، فلحقه الجندى الآخر بأن غمس سيفه فى ظهر (منيور)

بالكامل ، فنظر إليـه (منيـور) وهـو يبتسم بسخرية ، وقد انتفخ شدقاه ، وفتح فاهه كى يفصح عن نابين كأنياب الضوارى ، جعلت القائد يصيح :

ـ إنه شيطان .. إنه لم يمت !!.. فر أنت يا (بازاك) ..

تاااااااااااااااااااااااااااااك ....

صوت اصطكاك سيف (منيور) مع القائد يدوى فى فناء القصر .. يتصدى القائد بصعوبة بالغة لتلك الضربة ، وهو يتراجع إلى الخلف من قوتها ، ويضيف :

ـ اذهب إلى السـلطان وقص علـــيـيــــيه ... مــــــا .. حــــدث..

وقف (بازاك) لثوان مشدوهًا وهو يسمع تلك الكلمات من قائده ، الذى على وشك الموت ، ويشاهد ذلك الـ (منيور) يحاربه بكل قوة رغم سيفه الذى أصبح جزءًا من جسده ، لكنه لم يمت !

تاااااااااااااااااااااااااااااك .....

يفيق مما فيه ، ويفر هاربًا ، إلى خارج القصر ..

ـ منيوووووووور ..

يصيح بها (فلاد) آمرا إياه أن يلحق بالجنـدى الهـارب ، فيزمجر (منيور) مرة أخرى ، ويهوى بسيفه على رقبة القائد ليفصلها عن جسده تمامًا .

* * *

أخذ الجندى يهرول إلى خارج القصر ، ثم إلى حيث فرسه ، الذى أطلق لساقيه العنان ..

يهرول (منيـور) إلى خـارج القصر ، ويلتقط حربه من يد أحد الحراس ، ويقذف بها لتشق الهواء ، وتستقر فى كتف (بازاك) من الخلف ، فيسقط عن فرسه متوجعًا .

* * *

يبتسم (فلاد) ، الذى كان يقف حينها خارج القصر ليرى صنع (منيور) ، وهو يصفق له بحرارة ، ثم يضيف :

ـ أحسنت صنعًا .. (منيور) .. أحسنت ..

ـ أمرك يا مولاى ..

يقولها (منيور) وهو يعيد سيفه إلى جانبه حيث كان ، يضع (فلاد) يده على كتفه ، ويتجها إلى داخل القصر .

* * *

ينهض الجندى بتؤدة بعد أن انتزع الحربة من كتفه ، ومن ثم يصعد على فرســـه بصـــعوبة ، ليستقر فـــوق ظهـــره ، وينطلق به تجـــاه (محمد الفاتح) ..

* * *

ترانسـيلفانيـا ..

1

لازلنا مع تلك المرشدة ..

« تعتبر ترانسيلفانيا موطن (دراكولا) ، الشخصية الخيالية لمصاص الدماء التى ألفها (برام ستوكر) والتى استمدها من شخصية الملك الحقيقى (فلاد تيبيس) الرومانى ، الذى يعتبر محرر الأراضى الرومانية .

ــ حررها ممن ؟

قلتها وأنا أعبث فى ذقنى ، فنظرت تجاهى ، وهى تتلعثم ، وتضيف بإنجليزيتها الجيدة :

ــ سؤال جيد .. ما اسم حضرتك ؟

ــ (إبراهيم) فتحى ..

ــ أنت مصرى .. صحيح ..

ــ نعم .. مصرى ..

ــ لقد حررها من العثمانيين ..

ــ من (محمد على) ؟



ــ لم يكن (محمد على) موجودًا آنذاك يا أستاذ (إبراهيم) .. لقد كان (محمد الفاتح) .. ألا تعرفه ؟

احمرت أذناى ، وابتسمت فى خجل على نفسى ، وعلى عدم درايتى بالتاريخ ، إنها تقول لى إن (محمـد الفاتح) كان سيُغير على رومانيا وأن (فلاد) تصدى له .. من أين لى أن أعرف إن كان ما تقوله من معلومات صحيحة أم خاطئة .. يا لى من مغفل أحمق لم أعلم قيمة التاريخ إلا الآن ..

أضفت :

ــ أعرفه بالطبع ، لكننى أعرفُ أنه عادل كذلك ..

ــ لا لم يكن كذلك .. أنت لم تقرأ عنه جيدًا .

« إننى وبصدق لم أقرأ عنه مطلقًا .. لا بد أننى سوف أدخل فى نقاش وجدل محسوم نهايته لها ، لأنها تعرف وأنا لا أعرف بل لم أقرأ كذلك ولو سطرًا فى التاريخ ، إلا ما كان يفرض على فى المدرسة(*) .. »

قلتها فى نفسى .. ثم لذت بالصمت .

(*) بعد ذلك علمت أن (فلاد) يعد بالنسبة للرومانيين بطلاً قوميًا ، استطاع حماية دولتهم وحماية المسيحية من الزحف العثمانى الكاسح .. وبالطبع هى وجهة نظرهم .. إلا أن الأتراك نجحوا فى النهاية لغزو دولته ، وقد انتحرت زوجته بأن ألقت نفسها من فوق ذلك القصر إلى مياه نهر أرجيس بدلاً من الاستسلام للأتراك ..

ــ الآن سوف ندخل لنشاهد أحد أشهر معالم ترانسلفانيا .. بل رومانيا بأثرها إنه قصر الكونت (دراكيولا) ..

قالتها ونحن ندلف من بوابة قصر عتيق ، إلى ساحة حديقة .. ليست كبيرة ، وضع فى منتصفها تقريبًا تمثال من الحجارة .. حقًا لا أعلم ما نوعها ، لكنه رائع حقًا يمثل رأس الكونت (فلاد) ، تناولت الكاميرا من الحقيبة ، والتقط له عدة صور من عدة اتجاهات ..

بضع سلالم ، وأصبحنا داخل بهو القصر .. يا له من قصر .. إنه بالفعل لجدير بأن يكون قصر الكونت .

ــ على اليمين هنا .. سترون لوحة « المعركة بالمشاعل » ، المناوشة الليلية بين الجيش العثمانى والكونت (فلاد) ، وهى بريشة الفنان « ثيودور آمان » .

قالتها المرشدة وهى تشير بيدها تجاه لوحة وضعت على الحائط بها عدة أحصنة ، ومن خلفهم تتصاعد ألسنة النار ..

ــ وفى الأمام ها هنا سترون هذه المائدة .. وهى فى الغالب لم تكن فقط مائدة لتناول الأطعمة بل كانت تنعقد عليها الاجتماعات أيضًا ..

* * *

فليييييبكَ ..



صورة أخرى للوحة ثم فليييييك .. وأخرى للمائدة ..

ـ لنصعد إلى الطابق العلوى ..

قالتها ، وهى تتجه بنا إلى الأعلى ..

هنا وقعت عينى على باب خشبى .. وضعت أمامه لافتة باللغة الرومانية ، فلم أعلم ما الذى تقوله فتوقفت أمامه وصحت :

ـ لم ندخل بعد إلى هنا ؟

توقف الجمع ، ونظر إلى الخلف إلى حيث أقول ، فقالت المرشدة حيث هى :

ـ ممنوع .. هذه المنطقة تحت الترميم ..

قالتها ثم استدارت لتكمل الجولة ..

نظر إلى (ياسين) ، وهو يقول :

ـ هذه اللافتة تقول : إن هـــذه المنطقة تحـــت الترميم .. لذا ممنوع الدخول ، لغير العاملين .

نظرت إليه ، وسألته فى فضول :

ـ هل تتحدث الرومانية ؟

ـ نظر إلى ، وهو يضيف :

ـ بالطبع .. وليست الرومانية فحسب ..

قالها ، وتقدم إلى حيث الجمع الواقف .

وقفت أرمق الباب لبرهة ، ومن ثم انصرفت بدورى ، لالحق بهم ..

* * *

صعدنا إلى الطابق العلوى ، لأجد ممرًا به عدة غرف تراصت على الجانبين ..

توقفت المرشدة أمام إحدى هذه الغرف ، ودلفت داخلها بحذر ، وهى تقول :

ـ هذه إحدى الغرف الخاصة بالمعيشة ..

تقدمت أنا مخترقًا ذلك الجمع ، كى أرى الغرفة من الداخل ..

السقف مصنوع من الخشب العتيق ، ومنخفض بشدة ، يتدلى منه ثريًا عتيقة ..

غرفة عادية ، لكن .. فليييييييك .. لا بأس بالتقاط صورة لها ..

التقطت الصورة ، وعدت إلى خارج الغرفة ..

يا لها من جولة مملة ..

قلتها فى نفسى بعد أن ألقيت نظرة على الغرف الباقية ، وباقى القصر .. سوف ندلف إلى تلك الغرف بأثرها ، ثم نلقى نظرة على بعض اللوحات ، يا لها من جولة مملة حقًا ..

هنا تذكرت الباب المغلق ، الذى خط عليه ممنوع الدخول ..



إذًا سأدخل ما دام ممنوع الدخول .. هكذا قررت ..

أن أهبط الدرج إلى حيث هو ، وآخذ جولتى هناك وحدى .

تسللت فى خلسة ، وذلك التونسى يرمقنى ، فأشرت إليه كى يصمت ، ففهم ما أردت ، وأشاح وجهه عنى ..

وهكذا ، تسللت حتى وصلت إليه ، ولحسن الحظ لم تكن هناك كاميرات مراقبة أو حتى حراس ، لتحرسه ، هكذا هم يثقون فى الناس أجمعين ..

أمسكت بالباب ، وبدأت أفتحه !!

* * *

محمـد الفـاتح(*) ..

1

ـــ أو قد فعل ذلك ؟

ـــ نعم يا مولاى ، وقد قتل من كانوا برفقتى من المندوبين ، دون أن نوجه إليه كلمة تهديد واحدة حتى ..

نهض السلطان من على مقعده ، بعد أن استشاط غضبًا ، ثم أضاف :

ـــ لقـــد علمت ذلك مسبقًا ، لكننى حاولت أن أعطيه فرصة أخرى .. (بازاك) ..

ـــ أمرك يا مولاى .

ـــ من الآن سوف تحل مكان القائد بهمند ، وأنت يا خدا ..

(*) اعلم أن ذلك الجزء تاريخى بحت ، لذا سامحونى لو لم يكن أحد منكم يهتم به ..

(محمد الفاتح) أو بالتركية فاتح سلطان (محمد) خان ثانى ..

هو سابع سلاطين الدولة العثمانية

وُلد فى رجب 835 هـــ فى مدينة أدرنة ، عاصمة الدولة العثمانية آنذاك ، ونشأ فى كنف أبيه السلطان مراد الثانى سادس سلاطين الدولة العثمانية ، الذى تعهَّده بالرعاية والتعليم ؛ ليكون جديرًا بالسلطنة والنهوض بمسئولياتها ..

وقد تولّى (محمد الفاتح) السلطنة بعد وفاة أبيه مباشرة ..

وبدأ فى التجهيز لفتح القسطنطينية ، ليُحقّق الحُلم الذى كان يُراوده ، وفى الوقت ذاته يُسَهِّل لدولته الفتوحات فى منطقة البلقان ، ويجعل بلاده متصلة لا يفصلها عدوٌ يتربّص بها ..

وفى شهر ربيع الأول من عام 886 هـــ غادر السلطان الفاتح عالمنا بعد أن دون اسمه بحروف من ذهب فى تاريخ العالم بأثره ..

قالها لشخص آخر يقف ليستمع ، فقفز قائلاً :

ــ أمر مولاى ..

ــ أعط الأمر للجيش كى يتجهز ، سوف نتحرك بعد الغد بتسعين ألف من الجند متجهين إلى بوخارست .

ــ أمرك يا مولاى .

* * *

2

عند وصول السلطان (محمد) إلى ضواحى بوخارست ، وجد حول المدينة غابة من الخوازيق التى عُلّقت عليها جثث الأسرى الذين أتى بهم الكونت من بلاد بلغاريا ، وقتلهم عن آخرهم بما فيهم الأطفال والنساء ، وكذلك الجنود العثمانيين الذين كان قد قبض عليهم إثر مناوشة ليلية !!

كان الكونت عالمًا بوصول جيوش (محمد) الفاتح إلى بوخارست ، فصفف جيشه لمقابلته ..

وتقابل الجيشان ، ودارت المعركة .. وسرعان ما تفرق جيش الكونت ، وعندما أدرك أنه قد هزم ، فر هاربًا إلى ملك المجر ..

* * *

وسط كل هذا نرى (منيور) وهو يفر إلى داخل القبو الخاص بقصر (فلاد) ممسكًا بسيفه ، بعد أن دارت معركه طاحنة بينه وبين عدد لا بأس به من جند (محمد الفاتح) ، قتل على أثرها الكثير منهم ، ثم أدرك بعدها أنه يحارب بمفرده ، بعد تلقيه العديد من الضربات والطعنات النافذة ، لكنه لم يمت ، وخلفه يهرع عدد من جنود (محمد الفاتح) يتقدمهم (بازاك) ، الذى اشتعلت داخله نار الانتقام من ذلك الــ (منيور) ،

نراه يمشى بين جدران القبو فى خفة لا مثيل لها ، رغم انعدام الإضاءة تمامًا ، ثم يصل إلى باب من الخشب العتيق ، نقش عليه الكثير من الرسومات وخط عليه الكثير من الكلمات غير المفهومة ، أمسك به ليفتحه محدثًا صريرًا مرعبًا ، ثم دلف بداخله ، وأغلقه !

* * *

3

لقد غدرت بى يا (فلاد) ، أوقعت بى .. قلت لى إننى معك ضد (محمد الفاتح) أن أغار علينا ، واننا سنقف معًا ضده إن حاربنا ، لكنه لم يفعل وأنت فعلت ، لقد ذهبت أنت إليه ، إلى بلغاريا ، وأنت تعلم أنها من ضمن أملاكه وعثت فيها فسادًا وقتلت الأطفال والشيوخ والنساء !!

وذلك كله لأنك مطمئن لأننى معك إلى جوارك تحتمى بى ..

واليوم وبعد أن جاءك (محمد) بقواته وهزمك تفر فرار الجرذان وتأتى إلى كى أساعدك عذرًا يا (فلاد) .. أنا لا أقبل ذلك .

قالها الملك (متياس كورفينوس) ملك المجر ، وهو ينهض من على مقعده ، ليقف معطيًا ظهره لـــ (فلاد) ، الذى وقف بدوره يتصبب عرقًا ، ويضيف :

ـــ لم أ ...

قاطعه الملك مرة أخرى قائلاً :

ـ حتى أموال الدولة البابوية التى تحصلت عليها بغرض إعداد جيش لحملة صليبية جديدة ضد الدولة العثمانية أهدرتها وأنفقتها على أهوائك ..

قال الملك ما قال ثم تنهد طويلاً ، وأضاف :

ـ لقد عقدت العزم على عقد اتفاقية مع السلطان (محمد) .. أما أنت فعد من حيث جئت ..

* * *

يصل « بازاك » إلى الباب الموصد ، فيشير إلى الجند كى يفتحوه ، فيتقدم اثنان ، ويهمان بفتحه ، فتلفحهم رياح محملة بالروائح العطنة الخبيثة ، يسعل الجميع ، ويبدأ « بازاك » فى التقدم إلى الداخل بعد أن أضاء أحدهم مشعلاً ليضىء المكان ..

يتقدم (بازاك) ليدلف إلى الداخل !!

عندئذ يدرك (بازاك) لماذا لم يمت (منيور) أثناء المعركة ؟ ولماذا لم يمت حين اخترق السيف ظهره بالكامل ؟!!

* * *

فضـــــول ..

1

كان المكان مظلمًا بعض الشىء ، لذا أخرجت الهاتف الخلوى الخاص بى ، وأضأت الفلاش الخاص بالكاميرا ، لتتضح لى الرؤيا أكثر ..

كان أمامى مباشرة درج من الحجارة .. بدأت الهبوط فيه بحذر حتى لا تنزلق قدماى وألقى حتفى حيث أستقر ..

بضع درجات ، ثم لامست قدماى الأرض من جديد ..

كان المكان أقرب إلى سرداب تحت الأرض ، من تلك السراديب التى تذكرك بسراديب مقابر الفراعنة ، لكنه خالٍ تمامًا ، تقدمت إلى الأمام قليلاً ، لعلى أعثر على أى شىء ، حتى وصلت إلى مفترق طرق !!

يمين ويسار .. إلى أين أذهب ؟

على غرار (حادى بادى) فعلت ، فوقع الاختيارعلى النفق الأيمن ..

فبدأت فى التقدم داخله !!

توغلت أكثر حتى وجدت أمامى عدة أقماع بلاستيكية ، وكذا عدة ألواح من الخشب متراصة بالطول والعرض ، كى تتفادى انهيار السقف فوق العمال ، وأمام ذلك كله استقر شريط حاجز ، ولافتة على حامل خشبى ، خط عليها كلامًا باللغة الرومانية !

لابد أن عمال الترميمات هم من وضعوا تلك الأشياء ها هنا ..

إنه طريق مسدود إذًا ، لكن ليس لمن هم مثلى .. لذا عبرت من تحت الشريط الحاجز ، وعبرت من بين الألواح بدورها بحذر ، حتى عبرت إلى داخل منطقة الترميمات ..

مرت دقائق ، وبدأ الملل يتسلل إلى ..

كانت الحجارة فى كل مكان .. لا شىء يثير الحفيظة ها هنا ، خاصة وأن الرطوبة كانت عالية ، بالإضافة إلى أن نقص الأوكسجين قد بدأ يظهر على ، فقررت العودة من حيث جئت ، لذا استدرت وبدأت فى عبور الألواح عائدًا ، حين علقت إحدى قدمى فى لوح من الخشب ، فجذبته كى يسقط فوقى هو وإخوته ، وينهار المكان كله فوق رأسى !!

* * *

2

أمســك (بازاك) بقطعـــة من الخيش ، وبـــدأ يخط فيهـــا شيئًا ما ، وهو يسد أنفه ليمنع تسرب تلك الرائحـــة القـــذرة إلى أنفـــه ، ثم تركها داخل المكان ، وهـــم بالانصراف هـــو وجنوده ، بعد أن أمرهم بأن يغلقوا ذلك الباب خلفهم مـــن الخـــارج ، كى يمنعوا أى أحد من الخروج .. إلى الأبد !

* * *

ــ أستاذ (إبراهيم) .. (إبراهيم) ..

أفقت لأجد نفسى أنظر إلى وجه شاحب ذى شارب ، يحملق فى بشدة ، ويلسعنى على خدى كى أستفيق ويمسك فى يده كشافًا يوجهه إلى عينى مباشرة ..

ــ (إبراهيم) هل أفقــت ؟.. ترررررراخ .. صفعة أخـــرى تنهال على وجهى ..

ــ بخير .. بخير ، لقد استعدت وعيى ..

قلتها وأنا أمسك يديه ، وأزيح الكشاف بعيدًا عن وجهى ، فأضاف :

ــ ما الذى حدث ؟

ــ لا أعلم ..

قلتها ، وأنا أناوله يدى ليساعدنى فى النهـــوض ، نظرت له وبدأت أستعيد ما حدث ، وأضفت :

ــ كنت أتفقد المكان ، وعلقت قدماى ومن ثم انهار المكان فوق رأسى وصارت الدنيا بعدها ظلامًا من حولى ، لا بد أننى قد أصبت بعدة كدمات ..

ــ لكنك حى على كل حال .

ــ نعم نعم الحمد لله .. لكن ما الذى أتى بك إلى هنا ؟

ــ لقد سمع الجميع ذلك الصوت ، فحسبوه صوت عمال الترميمات ، أما أنا فتوقعت أنه أنت ، وأنك بصدد مشكلة .

وقعت عينى على الهاتف الخاص بى ، فانحنيت لألتقطه فأضاف :

ــ هـــل رأيت ذلك البـــاب ؟!.. لا بد أن طنًا من الأتربة كانت تواريه ، وظـــل بعيـــدًا عن الأنظار ، وما فعلته أنـــت بذلك الانهيـــار ، قـــد أفصح عنه !!

وضعت الهاتف فى جيب سترتى ، وتقدمت فى تؤدة إلى حيث الباب الموصد ..

* * *

كان بابًا من الخشب الأسود ، رسم عليه الكثير من الأشكال الغريبة ، وخط عليه الكثير من الكلمات غير المفهومة ..

تقدمت حتى وصلت إليه ، وبدأت فى استخدام يدى كى أتحسس خشبه العتيق ، خشب لم يمسه أحد منذ زمن سحيق .. اصطدمت يداى بمزلاجه العملاق !

ـ لا بد أن هذا الباب ليس سوى مخرج سرى كان يستخدمه أحدهم ، وإلا فلما هو موصد من الداخل ؟

قالها (محمد ياسين) لى ، فلم أجبه ، لأننى كنت قد بدأت فى إزاحة المزلاج عن موضعه ، لينفتح الباب !!!!

رياح عاتية ، لا بد أنها هنا منذ زمن سحيق ، ولم يطلق أحد سراحها إلا الآن ، تلفح وجهى وجسدى ، رائحتها تذكرك برائحة مقابر القرية ، المليئة بالعطن ..

تراجع (ياسين) إلى الخلف ، وهو يضيف :

ـ يا لها من رائحة عفنة مقيتة .

وجه (ياسين) الكشاف إلى الأمام ليضئ لنا المكان ، فكانت الصاعقة !

كان المكان يعج بالعظام النخرة ، والكثير منها قد صار ترابًا !

ووسط كل تلك العظام ، يقبع تابوت مغلق من الخشب العتيق !

ـ يا للهول .. ما هذا ؟!!

قالها (ياسين) ، الذى تقدم إلى الداخل ، وهو يمسك كشافه ..

كح كح كح ..

أخذت أسعل وأسعل ، وسددت أنفى بيدى ، وأضفت :

ـ تبدو وكأنها مقبرة جماعية !!

أشار (ياسين) تجاه التابوت وقال مستفسرًا ، وهو يتقدم بحذر ، وكذا يحاول ألا تطأ قدماه إحدى تلك العظام :

ـ لكن ذلك التابوت ؟!

نظرت له ، وأنا أتقدم ناحيته ، وناحية ذلك الصندوق ، وأضفت :

ـ ربما كان من بداخله ملكًا .... مثلاً .

قلتها ، وأنا أستند على غطاء التابوت وأتحسسه ..

ربما لو فتحناه لاتضح الأمر

قالها (ياسين) ، وهو يضع يديه عليه هو الآخر من الأمام ..

فأشرت له إشـــارة ذات معنى ، ففهم ما أعنيـــه ، وبدأنا فى فتح الصندوق .

* * *



المــوميــاء ...

1

فى ضوء الكشاف ، الذى يحمله (ياسين) رأيت ذلك الجسد المسجى على ظهره ، داخل التابوت المبطن بالحرير ، وعصا من الخشب الغليظ قد انغرست بين دفتى صدره !!

ارتعدت قدماى .. وأجفلت ، وتراجعت خطوتين إلى الخلف .. وشعرت بغثيان من فرط الرائحة الشديدة العطن ..

صحيح أن هــذه ليست المــرة الأولى لى ، التى أرى فيها الموت عن قرب ..

فقد رأيت زوجتى ، وابنتى .. ومن قبــل والــدى .. رحمة الله عليهم جميعًا ..

لكنه الموت !

فالموت هو الموت فى رأيى الشخصى .. بتلك الرهبة التى تدب فى قلبك ، وتلك القشعريرة التى تسرى فى قفاك ، عندما ترى ميتًا أمامك ، أو حتى أن أتت سيرته أمامك ..

فكفى به واعظًا .. بحق .

نظرت إلى (محمــد ياسين) ، فوجدته يمد يديه كى يتحسس ذلك الجثمان !.. وهو يضيف ، بكل برود :

ــ إنها جثة .

نظرت له ، ووددت أن أصفق له فى حرارة على اكتشافه المذهل هذا ، لكننى اكتفيت ، بمدحه قائلاً :

ــ بالفعل أنت عبقرى يا أستاذ (محمد) ..

نظر لى فى مباهاة ، ثم أضاف ، وكأنه يطالبنى بالمزيد :

ــ إن هندامه يوحى بأنه ليس من ذلك العصر قط .

تقدمت ناحيته مرة أخرى ، وأنا أستعيد تركيزى ، فبدأت الرؤى تتضح أكثر لى ..

كان جسدًا لرجل ضخم الجثة .. ذى شارب كث .. ملابسه كذلك توحى بأنه لا يمُت لذلك العصر بصلة ..

بالإضافة إلى ذلك فقد كان شاحبًا بشدة .. ذلك الشحوب ، الذى يذكرك بالمساحيق ، التى تضــعها الفتيات على وجوههن ، كى يظهرن أكثــر بياضًا ..

ــ لا شك أنه كان أسمر اللون .

قالها (ياسين) ، وهو يعبث بتلك العصا الغليظة .. ثم أخذ ينتزعها من بين ضلوع الرجل بصعوبة بالغة !

ووقف يتأملها ، ويتأمل الرجل ، وهو يضيف :

ــ لا بد أن جريمة قتل قد حدثت ها هنا منذ زمن سحيق .

لم أجبه ، لأننى كنت أرمق التابوت كله بعينى .. فلاحظت أن هنالك قطعة من الخيش ملقاة تحت التابوت !

مددت يدى ملتقطًا إياها ، كى أتفحصها عن قرب ..

كانت مكتوبة بلغة لم أعى منها حرفًا ..

عندئذ .. تذكرت الكاميرا ..

فدسست قطعة الخيش ، داخل الحقيبة ، وأخرجت الكاميرا ، التى نسيتها تمامًا .. وبدأت فى معالجتها ، فأضاف (ياسين) ، وقد رآنى :

ــ أستميحك عذرًا أن تلتقط لى صورة بجواره ..

أضفت ، دون أن أنظر إليه :

ــ بكل تأكيد ..

قلتها ، ثم صمت برهة كى أتأكد إنها صارت صالحة ، ومستعدة ، وأضفت :

ــ تفضل قف إلى جوار التابوت ها هنا .

قلتها وأنا أنظـــر فى عدســـة الكاميرا ، وأشير إلى (محمـــد ياسين) بيدى ..

هنا لا حظت شيئًا غريبًا !

الجسد الممدد داخل الصندوق ، لم يظهر فى كادر الكاميرا !

أبعدتها عن عينى ، ورمقت الجسد داخل التابوت ، كى أتأكد أنه لا زال بداخله ، فوجدته كذلك !

عدت أنظر فى عدسة الكاميرا ، لأجده لا يظهر خلالها !

ــ ما ذلك الخبال ؟

قلتها ، غير مدرك ..

فتقدم (ياسين) ناحيتى وهو يسألنى عما دهانى ..

نظرت إليه وأنا أناوله الكاميرا ، وأشرح له ما رأيت ..

تناولها بدوره ، وبدأ ينظر خلالها .. وهو يضيف :

ــ بالفعل .. إنه لا يظهر ها هنا !

رمقت الجسد بطرف عينى ، فوجدت عينيه تحملقان فى السقف !

ــ سلام قولاً من رب رحيم ...

ــ ماذا هنالك ؟

ــ انظر !!

ــ بسم الله الرحمن الرحيم .. ما هذا ؟!

قلتها وردها على (ياســين) ، وهــو يتقدم ناحية الصندوق ، ويتلعثم قائلاً :

ــ إنه .. إنه .. لقد فتح عينيه .. إنه .. لقد .

لم يضف شيئًا آخر ، لأن الجسد الممدد بدأ ينهض ، ليجلس داخل التابوت !!

* * *

تــراجيــن ...

يجلس (تراجين) فى الحديقــة الخاصة بقلعــة (فلاد) ، ويرمقها بين آن وآخــر من بين الأشــجار ويتخيل حبيبتــه (لوانا) الحسناء ، وقد تزوجا ..

هى لا تبادله ذات الشوق والحب ، وتحب غيره ، لكنه يحبها ، ويهيم بها شوقًا ، وهذا يكفى من وجهة نظره ..

يعلم أنها تهيم حبًّا بذلك الفتى الذى يدعى « مالفرينج » ، والذى يدعى أنه من نسل الأمير (فلاد) مالك ذلك القصر ، لكنه يحبها ، فهو لا يملك فؤاده ..

يتنهد فى ولع وشوق ..

ويرشف من القدح الساخن .. وهو ينقل نظره إلى القلعة مرة أخرى ، ويحدث نفسه ..

هل بالفعل هو الآن يعمل حارسًا لقصر الكونت (دراكيولا) ؟!

لطالما قالوا عليه جبانًا رعديدًا ، لا يصلح للعمل ..

طالما قالوا إنه يشبه الفتاة المدللة ، لكن بداخله ، يعلم أنه ليس كما يقولون ، لكن لا بأس من الحرص الزائد ، فهو لا يملك سوى حياة واحدة ، وأن ذهبت ذهب ..

والدليل على شجاعته ، هو أنه قد تقدم لشغل تلك الوظيفة بعد أن تم الإعلان عنها ، وها هو يجلس على مقعد بداخل حديقة القصر ويحرسه ..

تحتشد الأفكار فى رأسه كالذباب ..

فيعود ليرمق المكان وهو يرشف من القدح الساخن ، الذى يضعه إلى جواره ..

هل هذه السياج ، قد علق عليها أناس من كل الأجناس ؟

يا له من مكان ..

يقولها بعد أن يرشف رشفتين أخرتين ..

ثم ..

تراااااااخ .. دششششششش !!

يقفز من فوق مقعده ، صائحًا بعد أن تساقط معظم ما بالقدح على ملابسه ، ليلهبه :

ــ من ؟

بكل تأكيد ذلك الصوت ، ليس سوى لص يعبث داخل جنبات القصر ..

هو يعرف هذه الأمور جيدًا ..

ينهض متجهًا إلى داخل القصر ، ممسكًا بالمفاتيح ، مفاتيح .. إذًا كيف دلف ذلك اللص إلى داخل القصر ؟

آه .. ربما تسلل ، من نافذة ما من الخلف ..

فهو يعرف مثل هذه الأمور جيدًا ..

يولج المفاتيح فى الباب ، بعد أن يصعد درجتين أو أكثر ، ويفتحه .. مصدرًا صريرًا ، يدب الرعب فى النفوس !!

يفكر فى التراجع .. أو أن يترك ذلك اللص ليسرق ما يسرق ، وليعيد هو أدراجه إلى حيث كان بالخارج .. وليترك ما يحدث ليحدث ..

لكن .. لو ماذا ألصقت به هو ؟.. ثم كيـــف سيتم سرقة القصر ، وهو حارسه ، إذًا فما هى وظيفته إذًا ؟!

سوف يقولون : إن وجوده كالعدم ، ويفصلونه ، ويذيع صيته ، بين أرجاء البلدة ..

« (تراجين) أفضل حارس لدى اللصوص » ..

تجوب تلك الخواطر فى رأسه ، فينتفض ، وينتفش صدره ، ويتقدم إلى داخل القصر ..

القصر مظلم تمامًا إلا من ضوء مصباح أو اثنين واهنين ، يلقيان بضوئهم على المكان ، ليجعلانه أكثر رعبًا مما هو عليه ..

يا لا ذلك المكان ..

صحيح إنه حارسه ، لكنه لم يدخله قط منذ تسلم نوبة الحراسة فيه ..

تاك .. تاك .. تاك !!

يتناهى إلى مسامعه صوت خطوات قادمة من الطابق العلوى !

المسدس ..

يتذكر مسدسه فيخرجه من طيات ملابسه ، ويشهره إلى الأمام للا شىء .. ويضيف بصوت لا يرد الخروج من حلقه من شدة الهلع :

ـ مـــ ... مـــمـــــــــــــ ... من ؟

ـ ....

يفكر مرة أخرى فى العــودة ، فيلتفت إلى الخلف ، ليجد ذلك الشىء أمامه ، يشتم أنفاسه !!

ود لو أنه ملأ الدنيا صراخًا ، لكنه لم يفعل !!

* * *

(مالفرينج) أكيـــل ..

1

ـ « لا أحب ذلك الجو الملىء بالخمور ، والفتيات العراة اللواتى تلتوين على المناضد من أجل حفنة من اللايات(*) ».

يقولها شاب متوسط القامة .. أشقر ، يدعى « مالفرينج » ، لـــ (لوانا) الحسناء ، وهما يخرجان من الحانة ، فتنظر إليه ، وتضيف :

ـ إذًا لماذا تأتى إلى هنا كل ليلة ؟

قاطعها قائلاً :

ـ إنها الضرورة .. الضرورة يا حلوتى .. الضرورة التى تجعلنى أعمل ما لا أحب ، وأقابل من لا أحب ، نظر لها ، وأضاف :

ـ أراهن أنك كذلك .. وإلا فلماذا تعملين هنا ..

وضعت كفها على فيه ، كى يصمت ، وقاطعته :

ـ الضرورة .. الضرورة يا عزيزى .. ههههههههه .

قالتها ، وابتسمت ، فابتسم بدوره ..

(*) عملة رومانية .



تقدم حتى وصل إلى قارعة الطريق ، واستوقف سيارة أجرة ، ودلفوا داخلها .

* * *

ــ بصدق .. لم أصدق حرفًا مما يقولونه عنك فى الحانة .

قالتها (لوانا) ، التى أخذت تلوك قطعة من العلكة ، بصوت مرتفع ، فنظر (مالفرينج) إليها ، وأضاف :

ــ وما هو الذى يقولونه عنى ؟

تثاءبت ، وأخذت تخرج العلكة من فيها وتدخلها مرة أخرى ، وأضافت :

ــ ممممم .. أن لك أصولاً تصل إلى (فلاد) تيبيس .

ابتسم فى مرارة ، وأشاح وجهه عنها ، وهو يضيف فى أسى :

ــ نعم .. هذا حقيقى .. هاااااااااااااااااااااااففففففف .

تنهد طويلاً ، ثم أضاف :

ــ لنقل إن ذلك بطريق غير مباشر ..

ــ بحق ..

قالتها وهى تنظر إليه غير مصدقة ، ثم أضافت :

ــ كيف ؟

ــ الأميرة (إليانا) هى جدتى وأصولها تمتد بدورها إلى (فلاد) تيبيس ..

لكن الشيوعيين قد قاموا بفرض سيطرتهم على كل شىء ، وكذا قد تم مصادرة كل شىء مما جعل الولاية بأكملها يحل بها الخراب ، بما فيه قلعة (فلاد) .. جدى .

فرغ (مالفرينج) من حديثه ، وأردف :

ــ وأنت ؟

ــ ماذا ؟

ــ هل ما سمعته عنك صحيحًا ؟

ــ وما هو ، الذى سمعته ؟

ــ إنك تعشقين ذلك العجوز الفرنسى الذى يدعى (سايرون) ، وأنه سوف يجعلك تغادرين هذه الحانة ، وتذهبين إلى مكان آخر .

ــ هههههههههه

ابتسمت مرة أخرى بذات السحر ، وأضافت :

ــ الأخبار فى تلك البلدة ، تنتشر بسرعة .

ــ إذًا صحيح ..

ــ الصحيح هو أننى سوف أغادر الحانة .. سوف أعمل فى فندق صغير محترم فى إيلفوف ..

قالتها ثم أردفت :



ـ وغير الصحيح هو عشقى لغيرك ..

ـ وذلك الفتى (تراجين) ؟

ـ ما به ؟

ـ أنت تعلمين أنه يحبك ..

ـ لكننى لا أحبه .. وها أنا سوف أبتعد عن الحانة بأكملها .. وأعتقد أن عملى فى الفندق بكل تأكيد أفضل من تلك الحانة ، ولا تنسى أنك لا تحب ذلك الجو الملىء بالخمور ، والفتيات العراة اللواتى تلتوين على المناضد من أجل حفنة من اللايات ..

قالتها ثم صاحت قائلة :

ـ توقف هاهنا ..

قالتها (لوانا) ، إلى السائق آمرة إياه أن يتوقف ، وأضافت دون أن تنظر إلى (مالفرينج) :

ـ أراك غدًا فى الحانة يا حفيد (فلاد) .

قالتها ، وهى تغادر السيارة وتبتعد ، تاركة سحرها وعطرها ولم تأخذهما معها ..

* * *

نقد (مالفرينج) سائق الأجرة حفنة من اللايات ، وغادر سيارته مترجلاً ، متجهًا إلى بيته الصغير .. وسط الغابة الكثيفة ..

تيششششششششششششش !

وبدأت تمطر ..

لم يكن هناك أحد .. الكل نائم ، أو جالس بجوار المدفأة ..

اعووووووو ..

يدوى عواء بعض الذئاب متخللاً صوت المطر .. ثم يرى بعضهم من بعيد ، وهم يهرعون باحثين عن مأوى ، ثم يتوارون مبتعدين .. ويذوبون بين الأشجار ...

ـ يا لها من أمسية باردة ، مطيرة .

قالها فى نفسه ، بعد أن أغلق أزرار معطفه ، وزاد من خطواته أكثر إلى المنزل .

تيك ..... تيييك ..... تيييك !!

يستمع إلى صوت العشب وهو ينثنى تحت الأقدام !!

فيتوقف ، على أثر ذلك الصوت ، فيعم الصمت المكان إلا من صوت الأمطار المنهمرة ..

يتقدم ..

تيك ... تييك .... تيييك

فيدوى الصوت مرة أخرى ..



إذًا هناك من يسير خلفه .. هنالك من يراقبه .

يتوقف مرة أخرى ، ويلتفت ليرمق أطراف الغابة المترامية ، فلا يجد شيئًا ..

ـ يا لها من أمسية .

يقولها مرة أخرى ، واضعًا يديه فى جيوب معطفه ، و ...

عندئذ يراه !

يقف .. ينتظره ، بين الأشجار !

لم يتبينه جيدًا .. لكنه علم أنه ليس من قطاع الطرق أو أنه يمت بصلة لأى شىء من هذا .

أرتعد ، وازدادت دقات قلبه ، فلملم نفسه ، وصاح بصوت مبحوح :

ـ من ؟

ـ ....

لكن الصمت عاد ليعم المكان !

* * *

2

كان الجسد الممدد قد بدأ ينهض ، ليستقر جالسًا داخل الصندوق !!

وكأنه نهض من سبات عميق ، بدأ يرمق الموجودات حوله ..

كانت قدماى ، لم تعد تستطيعان حملى ، وقد صارتا كعودين من المعكرونة المسلوقة ، التى أحبها ..

وبجانبى وقف (ياسين) هو الآخر يرتعد هلعًا .. لم ينبس ببنت شفة ، كأنه قد صار أبكم ..

فقط اكتفى هو الآخر بالوقوف والارتعاد ، ومشاهدة ما يجرى ..

التفت الرجل ، لينظر الينا ، وبدأ فى الحديث بلغة لا أفقهها ، ثم أنهى جملته تلك بكلمتين مفهومتين بكل تأكيد وهما .. (محمد) الفاتح !

فرغ من جملته ، ثم سحب سيفًا كان معلقًا بجانبه ، وبدأ فى النهوض ..

بالطبع لم ننتظر نحن أكثر من ذلك كى نطلق ساقينا للريح ، ونفر بجلودنا من المكان بأكمله ..

* * *

أخذ (ياسين) يصرخ ويولول ، ويركض ، وأنا خلفه ، أركض على أثره ..

* * *

3

ارتعد (مالفرينج) ، وازدادت دقات قلبه ، فلملم نفسه ، وصاح بصوت مبحوح :

ــ من ؟

ــ ....

لكن لم يجبه أحد !

التفت متحاشيًا النظر إليه ، وبدأ فى الترجل إلى بيته مرة أخرى ، لكنه سمع ذات الصوت ..

التفت ، ليجد الرجل قد اقترب بالفعل !

إذًا هو بالفعل يراقبه .. هذا ما توصل إليه .. والشىء الآخر الذى توصل إليه هو أن ذلك الشىء ، وذلك للدقة اللغوية ، يريده هو ..

لكن ما الذى يريده ، هذا ما سيعرفه (مالفرينج) بعد قليل ..

تصبب عرقًا !!.. فى ذلك الطقس !!

وقبض بيده على المدية ، التى لا تفارق جيبه ، وأخرجها ببطء ..

هو يعلم جيدًا أنها لن تجدى ، لكنها ستكون مجرد سبب فى تأخير ما سيحدث له .

لكنه ، التفت فجأه ، وبدأ فى الركض ناحية البيت ..

سوف يهرع إلى البيت بأقصى سرعة ..

بسرعة لم يصل إليها فى حياته أبدًا ، دون أن يلتفت خلفه ..

هكذا فكر ، وهكذا قرر ، وهكذا فعل ..

ظل يركض ، ويركض ..

البيت يقترب .. أكثر فأكثر ..

بضع خطوات و ..... وجده يقف أمامه فجأة !!!!

توقف هو الآخر فجأة وسقط على الأرض بعد أن انزلقت قدماه بفعل الوحل ..

كيف وصل إليه بتلك السرعة ؟!!

قالها فى نفسه ، وهو يزحف جالسًا إلى الخلف بمساعدة يد ، وبالأخرى بدأ يخرج المدية من جيبه ..

أخذ الشخص يتقدم .. حتى وصل إلى بقعة الضوء ، فتبينه (مالفرينج) جيدًا ..

عندئذ اتسعت عينا (مالفرينج) ، ودب الهلع فى جسده ، وشعر بالغثيان .

* * *



وبـدأت المتـاعـب !!

1

مع بزوغ خيـوط الفجـر ، يمكنك أن تـرى (ماسيسكو) العجـوز ، ذا الحاجبين الكثين ، والعينين الغائرتين ..

ينهض كعادته .. ويدلف إلى الحظيرة ، ليطعم الأغنام ، والخنازير ، بعد أن أبدل ملابسه بأخرى تصلح للعمل ، ..

ثم يذهب كى يوقظ (كالفسكو) ابنه الوحيد ، ذا السنوات العشر ..

فينهض الصبى ، متبعًا أباه ، إلى خارج البيت .. كى يذهبوا سويًا للتحطيب فى الغابة ..

يتوغل العجوز برفقة ابنه ، داخل الغابة ، مرورًا بذلك النهر ..

عندئذ يرمق الابن ذلك الجسد الممدد على الحشائش الخضراء بلا حراك ، وحوله انتشرت بقعة من الدماء التى أحالت لون العشب من الخضرة إلى الحمرة !

فصاح ، وهو يلكز والده العجوز ، كى يريه ما رآه :

ــ انظر يا أبتى ، إنه قتيل ..

ــ ما الذى تقوله يا (كالفسكو) ... أين ؟

يقولها العجوز ، وهو يضع كفه على مقدمة رأسه كى تحجب عنه أشعة الشمس الحارقة .. وتتضح له الرؤى ... لكنه يضيف :

ــ أنا لا أرى شيئًا يا بنى .. ربما ا...

ــ لا .. ها هو .. إنه هناك ...

يقولها الصبى ، مقاطعًا أباه ، وهو يجره جرًا من كمه ، إلى حيث ذلك الجسد .. ثم يضيف معربًا عن صدق كلامه :

ــ ها هو ذا .

ينظر العجوز إلى الجسد ، وإلى بقعة الدماء .. ويدنو أكثر من الجسد الممدد على الحشائش ، ليتفحصه عن كثب .. إنه يعرفه .. يعرف صاحب ذلك الجسد جيدًا .

إنه هو (مالفرينج) .. ذلك الفتى الشاب ، الذى يعمل فى حانة (ديمتريو) .. لطالما تلكأ فيها ليشرب بعض النبيذ ..

ــ يا لا البشاعة !!.. أن عنقه ممزق تمامًا !

يقولها الصبى وهو ينظر إليه ، ويضيف :

ــ أتعرفه يا أبت ؟

يلتفت إليه العجوز ، مجيبًا :

ــ نعم .. أعرفه ..



يقولها ثم يضيف فى أسى :

ـــ يجب أن نبلغ الشرطة ..

وبالطبع تفشى خبر وفاة (مالفرينج) كالنار فى الهشيم ..

* * *

2

يجثو الشرطى الذى يدعى (باترشيو) على ركبتيه ، متفحصًا الجثة ، وسط كومة من الناس ، التى التفت حوله ، كأنه حاو فى سيرك ، فينهض ، قائلاً :

ـــ إنه ميت .

يصفق الجميع ، وتتعالى الآهات ، معربة عن عبقريته ، التى لا مثيل لها ، ثم يضيف :

ـــ على ما يبدو .. أن دبًّا ما قد هاجمه ، وهو من انتزع عنقه ، لا محالة ، لا بد أن الأمر كما أزعم .

يتعالى صوت التهليل من حوله ، فيلتفت خلفه ليجد ، ذلك الجمع ، فيصرخ فيهم جميعًا كى ينصرفوا تاركين إياه ، مع القس روزبون ..

فينصرف الجمع ، غير راضٍ .. فيردف قائلاً :

ـــ ما رأيكم فيما قلت ، أيها القس ؟

قالها للقس ، الذى أخذ يتمتم ، ببضع كلمات ، فى سره ، وأضاف راسمًا الصليب فى الهواء :

ـــ لا أعتقد ذلك أيها القومسيير(*) .. فهذه ليست المرة الأولى .. وأنت تعى هذا .. فقد حدث مثل ذلك منذ أيام فى قصر الكونت (فلاد) ، عندما وجدوا الحارس الخاص بالقصر ، وقد تمزقت عنقه هو الآخر !

(*) رتبة من رتب الشرطة الرومانية ، وتعنى مفوض ..

ينظر له الشرطى ، وهو يتساءل ، قائلاً :

ــ إذًا ما الذى تعتقده ، أيها القس ؟

ينظر إليه ، وهو يعيد رسم الصليب ، ويضيف :

ــ فامفيرى !!!!

* * *

3

أخذت أركض ، وأمامى (ياسين) ، خارجين من القصر ، حتى وصلنا إلى الحديقة ، فصاح شخص ما كان جالسًا وسط الحديقة ، على ما يبدو أنه حارس القصر بكلمات كثيرة لم أعى منها حرفًا .. لذا سأخبركم بما دار بعد أن ترجم لى (ياسين) الحوار بأكمله ...

ــ من أنتم .. ومن أين أتيتما ؟ .. بل ومن أين أتيتما ؟

توقف كلانا ، ليلتقط أنفاسه ، ويرتب أفكاره ، لمعرفه ما نجيب به ، ذلك الحارس .. الذى أخذ يرمقنا فى تشكك ..

فأضاف (ياسين) ، وهو يتحاشى نظراته المتشككة تلك :

ــ نحن سائحون .. وقد ضللنا طريقنا داخل القلعة ، وظللنا نبحث عن الجروب الذى كنا معه ، لكنه قد غادر ، لأننا تأخرنا ..

نظر لى ، وأضاف غير قانع :

ــ يبدو أن صديقك لا يجيد الرومانية ..

ــ نعم .. بالفعل ..

ــ على كل .. لقد تأخرتما كثيرًا .. لقد انصرف الجميع منذ فترة .. على كل حال . مرحبًا بكما فى رومانيا ..

قال له (ياسين) :



ــ نريد منك شيئًا ..

ــ تفضلا ..

ــ لكن ما اسمك ؟

ــ أنا (تراجين) .. حارس ذلك القصر .. وأنتما ؟..

ــ أنا (ياســين) .. (محمـــد ياسين) ، وهـــذا (إبراهيم فتحى) من مصر ..

ــ مرحبًا بكما فى رومانيا ..

ــ شكرًا .. قالها (ياسين) للرجل ، ثم أضاف :

ــ هل تعرف مكانًا يصلح للمبيت ؟.. لا تقلق .. سوف ننقدك أجرًا..

قالها ، فتهلل وجه الرجل ، لا أعلم لماذا ؟ وأضاف فى سعادة عارمة :

ــ نعم ..

نظرت إلى الرجل ، فوجدته ، يخرج هاتفه ، ويتحدث فيه ..

ما أن فرغ من حديثه ، حتى تحدث إلى (ياسين) ، مبتسمًا ، وهو يتناول ورقة من جيوبه وقلمًا وخط بها عنوان الفندق ، وناولها إلى (ياسين) ، الذى مد يديه والتقطها منه ..

وعدت أنا للاستماع مجددًا إلى ترجمة (ياسين) ..

ــ إنها عنوان فندق .. لقد أخبرنى أنه يعرف فندقًا ، لا بأس به إيلفوف .. وسعره مناسب .. فقلت له حسنًا .. اتفقنا .

قالها (ياسين) ، مترجمًا ، وأضاف :

سنرى .. وإن لم يرق لنا ، أمضينا فيه هذه الليلة ، فحسب ..

* * *

بدأت الأمطار تهطل حين دنت الساعة من الثالثة صباحًا .. وقد وصلت وياسين ، إلى قارعة الطريق ..

ــ لا بد أن نجد مأوى ، وإلا أصابنا التهاب رئوى لا محالة .

كح كح كح ... عطسييييييييى

قلتها ، وقد انتابتنى نوبة من السعال ، والعطاس .. وأنفى قد بدأت تسيل ، من فرط شدة البرودة ، فنظر إلى (ياسين) ، فى أسى ، وهو يضيف :

ــ إن طقس تلك البلد غريب حقًا .. فى الصباح الجو حار خانق ، وفى الليل من الممكن أن تموت بردًا ..

قالها وهو ينظر إلى ، وقد شحب وجهه أكثر مما كان عليه ، فأضفت ، وأنا أمسح أنفى بيدى المبتلة :

ـ بالفعل ..

انظر ..

قالها (ياسين) ، وهو يشير ناحية ذلك الضوء القادم من السيارة الأجرة فتقدمت ، وأنا أشير إلى السائق ، حتى توقف ، ودلفنا إلى الداخل ، حيث الدفء ..

* * *

نظر السائق إلى انعكاسى فى المرايا ، وأضاف شيئًا لم أفهمه ، فنظرت إلى (ياسين) كى يفك اللغز ، فبادله الحديث ، ثم ناوله الورقة التى بها العنوان ..

دقائق ، وفرغ الاثنان من ذلك الحديث الشائق ..

الذى فهمته دون ترجمة ، فقد سأله عن وجهتنا ، فناوله (ياسين) العنوان ..

* * *

توقف السائق ، أمام فندق صغير بعض الشىء ، وخرجنا من السيارة ، حيث المطر مرة أخرى .. ونقده (ياسين) حفنة من النقود ، وانصرف ..

* * *

كان فندقًا صغيرًا بعض الشىء ، لكنه كان أنيقًا بالفعل ..

أتت امرأة عجوز مسنة شعرها أشيب بالكامل ، امتلأ وجهها بالتجاعيد ، وهى تجر أمامها رجلاً متقاعدًا يجلس على كرسى متحرك ، علمت بعد ذلك أنه زوجها وأنهما أصحاب الفندق ومديروه ..

ثم تعرفنا على تلك الشابة الرقيقة .. (لوانا) .. فتاة أنيقة ، جميلة .. علمت فيما بعد أنها خادمة الغرف ..

رحبت السيدة العجوز بنا هى وزوجها ودار ذلك الحوار ، الذى تكفل به (ياسين) :

ـ أنا مسز (جونز ماكسيوس) .. وهذا زوجى السيد (ماكسيوس) ..

ـ أهلاً وسهلاً .. اسمى (ياسين) .. (محمد ياسين) .. تونسى .. وهذا صديقى (إبراهيم) وجدى ..

ـ تقصد فتحى ..

قلتها مصححًا ، فاحمرت أذناه ، وأضاف :

ـ نعم .. (إبراهيم فتحى) .. مصرى ..

ـ أهلاً بكما فى رومانيا ..

ـ شكرًا لك ..

قالها (ياسين) ثم أضاف :

ـ إننا نريد غرفة واحدة فحسب ..

ــ حسنًا .. لكم ليلة ؟

ــ مم ... لا نعرف حقًّا .. لكننا نود أن ننال قسطًا من الراحة الآن ..

ــ حسنًا .. تفضل .

قالتها وهى تناوله مفاتيح غرفة ما ، فالتقطها منها ، بعد أن شكرها

ثم ظهر ذلك الصبى ، الذى يدعى (ألونسو) .. ليحمل لنا الحقائب ، فلم يجد معنا شيئًا ، فظل يرمقنا فى تشكك .. ثم صعد الدرج بنا ليقتادنا إلى الغرفة ، ثم تركنا بعد أن ناولته مالاً ، وطلبنا منه ألا يوقظنا أحد إلا مساءً ، فانصرف شاكرًا مسرورًا ، ودلفنا نحن إلى الغرفة ومن ثم إلى الفراش ، وغصنا فى بركة النعاس اللذيذة ..

* * *

مالكلــوم كمســكى ..

شخص ثرى ، تلوح عليه أثار النعمة .. لكن كل ما هو فيه لم يكن ناتجًا عن كسب يده ، فمعظم ما كان فيه إن لم يكن بأكمله كان إرثًا عن والده السيد (كمسكى) ..

أخبره والده مرارًا بأنه يمت بصلة قرابة غير مباشرة لعائلة (فلاد) الملكية ، لكنه أخبره كذلك بأن ما هم فيه ليس نتاجًا لذلك ، بل هو من كدّه هو ، وناتجًا عن رحلة كفاح مرهقة ..

نراه الآن يجلس داخل سيارته الفارهة ، متجهًا إلى وسط البلدة لإلقاء كلمته فى حفلة ما خاصة بأعيان البلدة فحسب ..

يصرخ فى السائق للمرة المائة .. آمرًا إياه بزيادة سرعة السيارة ، بعد أن يسبه للمرة الألف ..

فيزرفر السائق المسكين ثانى أكسيد الكربون فى الهواء ، الذى يخرج بخارًا بفعل برودة الجو ، ويضيف فى تؤدة :

ــ الأمطار يا سيدى ، تحجب الرؤى ، وتحيل الطريق إلى مهلكة ، فالأرض زلقة ، ولو زدت من سرعتى فستحدث كارثة ، لا محالة .

يقولها فى تأدب ، فينظر إليه مالكلوم فى اشمئزاز ، وهو يضيف :

ــ بل قل إنك سائق سيئ للغاية ..



يقولها ثم يشيح بوجهه ، لينظر خلال النافذة ، التى غطى زجاجها قطرات المطر ..

يكتم السائق المسكين غيظه ، ويقبض بقوة على عجلة القيادة ..

عندئذ يرى ذلك الشخص ، يقف أمام طريقه تمامًا !

لم يعرف ما الذى يفعله فى تلك اللحظة بالضبط ، كل ما فكر فيه هو أن يضغط بكل ما أوتى من قوة على مكابح السيارة ، التى دوى صوت احتكاك إطاراتها ، بالأسفلت ليتردد فى السماء ، مقاطعًا السكون ، ثم دارت مرتين وانقلبت على جانبها ..

لحسن حظه .. أم لسوئه لا أدرى حقيقة ، لم يمت (كومكسى) ، بل لم يصبه شىء ، على الإطلاق ..

فنراه يطلق سبة بذيئة لكل شىء ، وقد جثا على بطنه ، محاولاً الخروج من نافذة السيارة ..

فيدس نفسه خلالها ، ويبدأ بالحبو حتى تلامس يداه الأسفلت الغارق فى المياه ..

وينهض ، ليجد ذلك الشىء يقف منتصبًا أمامه ، متشحًا بالظلام !

لم يدر ما الذى جعله ، يتأكد من أنه شىء ، وليس شخصًا ..

كانت هيئته تتوارى فى الظلام ، لذا لم يتبينه جيدًا ، فصاح متسائلاً بصوت واهن :

ـ من هناك ؟

ـ ....

لكنه لم يتلق إجابة واحدة ..

جثا على ركبتيه مرة أخرى ، كى يرى إن كان سائقه بخير أم مكروه قد ألم به ، فوجده مكومًا داخل السيارة فى وضع تشريحى ، ينبئه بأنه لم يعد حيًّا على الإطلاق ..

لذا أخرج مسدسه من جيوب سترته ، وشهره مهددًا لذلك الشىء ..

لكنه ، لم يبال ، بل بدأ فى التقدم نحوه بتؤدة ..

هدده للمرة الأخيرة قبل أن يدوى صوت الطلقة فى الهواء مبددًا ذلك السكون ! طاااااااااااااااخ !

لكنه لم يبال ، لذا صوب المسدس نحوه ، وضغط للمرة الثانية ، مغمضًا عينيه ..

طاااااااااااااااخ !!

* * *

فتح عينيه ، متوقعًا وجود جثته على الأرض ، لكنه لم يجد أحدًا على الإطلاق !

ازدادت ضربات قلبه معلنة عن هلعه ، فأخذ يتنفس بصعوبة بالغة ، دار حول نفسه ليتأكد من عدم وجوده ، لكنه رآه مرة أخرى ، يتقدم !

أطلق لساقيه العنان ، وركض نحو الغابة ، ليختبئ ..

لقد قرر أن الأمر يفــوق الطبيعة .. لذا ظــل يركض بين الأشجار التى امتلأ بها المكان ..

إن المرء يسهل عليه أن يضل طريقه وسط كل تلك الأشجار ، خاصة فى ذلك الظلام الحالك ..

توقف فجأة ، ليرى إن كان ذلك الشىء يتبعه أم لا ، وهذا خطأ يحدث دائمًا ..

والضوء الخافت الذى يأتى من كشاف سيارته ، يلقى ظلالاً لعينة على كل شىء ..

يلهث ، ويلتقط أنفاسه ، ثم يستدير ، كى يكمل مسيرته ، فيراه أمامه مباشرة ، وقبل أن يطلق صرخة استغاثة ، كان يشعر بتلك الأنياب وهى تخترق شرايين رقبته لتهتك الأنسجة ثم يشعر بالسائل الدافئ يسيل منه ، بالطبع لم يتحمل هو أكثر من ذلك فغاب عن الوعى إلى الأبد !

* * *

2

ومرة أخرى يجتمع الجميع ، ويأتى القومسيير ، ومعه القس ، ليروا الحادث ..

تبــادل القس والمفــوض النظرات ، كأنه يقول له ، ألم أقل لك إنه ليس دبًا ..

فدقق المفوض النظر فى الجثة التى انتزعت رقبتها بالكامل ، وأردف :

ــ أعتقد أن الأمر ليس كما خمنت ..

نظر إليه القس ، وهو يضيف :

ــ لقد أخبرتك من قبل أن هنالك مصاص دماء يجول فى البلدة ، وأننا هالكون حتمًا ما لم ينقذنا الرب .

نظر إليه المفوض ، وهو ينهض ثم أضاف :

ــ وأنا قلت لك : إننى لا أصدق حرفًا من ذلك الهراء ..

يصمت برهة ثم يضيف :

ــ إنها تخاريف ليس إلا ..

ــ وبما تفسر لى إذًا تلك الجرائم .. ومن ارتكبها ؟

قالها القس ، فى حدة ، فأجابه القومسيير ، بشىء من البرود :

ـــ لقد انحصر تفكيرى فى شىء واحد فقط ، وأعتقد أنه الأقرب ..

نظر له القس باشمئزاز وهو يضيف :

ـــ وما هو ؟

ـــ سفاح مختل عقليًّا ..

* * *

3

فى اليوم التالى ، نهضنا على صوت طرقات على باب الحجرة ..

نهضـــت فى تثاقل ، كى أفتـــح البـــاب فكانت (لوانا) تلك الفتـــاة الرقيقة ، تخبرنا بأن طعام العشاء قـــد تم إعـــداده ، وأنهم ينتظروننا بالأســـفل ..

إن سياسة ذلك الفندق ، هى إعداد طعام واحد لجميع النزلاء ..

لذا أبدلنا ثيابنا ، وهبطنا لتناول العشاء وسط الجميع .. ودلفت (لوانا) إلى الغرفة كى تنظفها ، وتعيد ترتيب الفراش ..

عندئذ تعرفت جيدًا على مسز (ماكسيوس) .. وزوجها .

فهى امرأة وقور ، ودود إلى أقصى حد ..

تحب الجميع ، وتشعرك للوهلة الأولى أنك من العائلة ، أو أنك أحد أحفادها ، وكذلك علمت أنها من نسل (فلاد) الوالاشى .. لكنها من الفرع الكادح فى تلك العائلة الملكية ..

وتعرفت أيضًا على ذلك الرجل الذى أتى من آسيا كى يزور معالم رومانيا وحده ، وكذلك تعرفت على جين ، ورافينى العروسين ..

وكان هناك (سايرون) ..

الرجل الفرنسى العجوز الباسم ، والوقور كذلك .. والذى يجيد معظم لغات العالم ، والذى يعمل بالآثار ..

أخبرنا أنه هو من أتى بلوانا إلى ذلك الفندق ، بعد أن تعرف عليها فى إحدى حانات إيلفوف وأنه يعتبرها ابنه له كذلك ..

* * *

وهكذا انتهينا من العشاء ، وعدنا إلى الغرفة ..

عندئذ تذكرت قطعة الخيش .. فدسست يدى فى جيوب معطفى ، فلم أجدها .. تراها سقطت .. ربما ..

دلفت إلى داخل الحجرة ، وبدأت أبحث عنها أنا وياسين ، فوجدها (ياسين) موضوعة على الكومود ..

ـ ها هى ..

قالها وهو يلتقطها ويفتحها ..

أخذ يرمقها ، ثم أضاف :

ـ هذه لغة لا أفهمها .. ربما كانت من اللغات التى اندثرت ..

فكرت برهة ثم أضفت :

ـ ربما لو عرضنا الأمر على ذلك الرجل الفرنسى لاتضح لنا الأمر ..

نظر لى وأضاف :

ـ ربما ..

وهكذا أخذنا بعضنا ، وذهبنا إلى غرفة الرجل ..

* * *

جلس الرجل يقلب فى قطعة الخيش ، بنظرات كادت أن تخترقها بعوينات خاصة لذلك ، وسألنا بإنجليزية جيدة :

ـ من أين أتيتم بهذه الرسالة ؟

تبادلت و(ياسين) النظرات ، ثم أضفت :

ـ من هناك ..

وبالطبع هى إجابه بالنسبة لى كافية .. وبالنسبه له توحى بغباء فادح ، لكننى لم أرد أن أخبره بما حدث ..

فرمقنى بتشكك ، ثم أضاف :

ـ على كل .. هى لغة تركية قديمة .. وهى فرع من فروع لغات الأوغوز(*) .

ـ ماذا ؟

ـ إن لغات الأوغوز هى فرع رئيسى وكبير من عائلة اللغات التركية .

ـ وماذا تحوى ..

قلتها .. فأعاد النظر مرة أخرى إلى الرسالة ، وشرع يترجم ما بها :



(*) من (بازاك) قائد جند السلطان الفاتح (محمد) الفاتح إلى من يقرأ تلك الرسالة ، ووجد ذلك التابوت .

لقد قمنا بفتح تلك البلدة ، وقد قمنا بدخول ذلك القصر فى محاربتنا ، لذلك اللعين ، الذى يدعى فلاد، وقد فر هاربًا ..

وقد تمكنا من إلقاء القبض على قائده ، الذى يدعى (منيور) ، بعد أن علمنا أنه ليس بشريًا ، بل مصاصًا للدماء ، وعلى ما بدا لنا أنه كان يستمد طاقته ، وغذاءه من تلك الجثث التى تراصت بجوار تابوته .. الذى يتخذه مبيتًا له ، يمتص من دمائها فى أى وقت شاء ، وقد وجدنا من بينها عدة جنود من جندنا ، وقد أمرت بقتله حيث هو ، ومصادرة ما معه من أسلحة .. وقد تم ، وقد قمت بغرس وتد خشبى فى قلبه كى لا ينهض أبدًا ..

لذا فليأخذ الحذر كل من وقعت فى يده تلك الرسالة وقرأها ، وليحذر من تحريك ذلك الوتد عن موضعه ، وإلا عاد ذلك الملعون إلى عالمنا ، وعسى فى الأرض فسادًا ..

بازاك بولان
1485

فرغ من قراءة الرسالة فأضفت :

ــ بكل صدق أنا لا أعى حرفًا مما قلت ..

نظـــر إلى فى حنـــق ، لا أعلم لما ؟.. ثم شـــرع يحـــكى لنـــا تاريخ رومانيا ، و(فلاد) وحربه مع السلطان (محمد الفاتح) .. وأخذنا نصغى باهتمام ..

وفرغ مما قاله .. ثم أعاد سؤاله مرة أخرى :

ــ أين وجدتم هذه الرسالة ؟ قالها وهو ينظر إلى .. وأردف :

ــ أود أن أخبركم بشىء ..

ــ تفضل .

ــ فى الأيام الماضية حدثت بعض الأمور .. أو لنقل جريمتى قتل ، لكنهما غريبتان حقًا ..

ــ وما دخلنا فى ذلك ؟

نظر إلى ، وأضاف :

ــ ربما كـــان هنـــاك ما تودون أن تخبـــروننى به ، عنـــدما أفرغ من حديثى ..

نظر (ياسين) إلى ، ثم أضاف :

ــ أكمل من فضلك ..

ــ أخذ نفسًا من غليونه ، وزفره فى الهواء ، وبدأ يقص علينا ما حدث .. منذ مقتل (مالفرينج) ، والسيد (مالكولكم) .. فرغ من حديثه ، ثم أضاف :

ــ وما قرأته أنا فى تلك الرسالة .. على ما يبدو لى أن له علاقة بتلك الجرائم ..

مم ... على كل لو وددتما أن تخبرانى بشىء فسوف تجدوننى أنتظر..

قالها ، بعد أن ناولنى الرسالة ، ونفث الدخان فى الهواء .

فنهضنا شاكرين ، وانصرفنا ..

* * *

ــ إذًا لقد حررت أنت ذلك الشيطان .. طبقًا لما هو مكتوب بتلك الرسالة ..

أماء برأسه صانعًا حركات مبهمة ، ثم أضاف :

ــ لم أكن أقصد ذلك بالتأكيد ..

ــ إذًا ما العمل ؟

أنكس رأسه ، وهو يضيف :

لا أعلم .. ربما كان هراء .. لكن الرجل قد هب واقفًا من رقدته أمامنا .. مم .. لا أعلم ..

قالها فأضفت :

ــ أما أنا فأعلم .. صمت برهة ، ثم أضفت :

ــ لدى فكرة لا بأس بها .

ــ ما هى ؟

ــ أن نذهب إلى القصر مرة أخرى ..

ــ أجننت ...

قالها (ياسين) مقاطعًا فأضفت :

ــ أنا أعرف أن مصاصى الدماء ينشطون فى الليل .. أما نهارًا فهم موتى تقريبًا .. وما أفكر فيه هو الدخول نهارًا ، ووضع الوتد فى صدره كما كان ، وكأن شيئًا لم يكن .

أخذ يرمقنى فى بلاهة ، ثم أضاف :

ــ فكرة لا بأس بها ، لكن ما الذى يدريك أنه سيكون ، بداخل التابوت كما كان ، وأنه لم يتخذ مكانًا آخر غيره .

ــ لا أعلم ، لكننى خمنت ذلك ، ولعلنى كنت صائبًا .. صدقنى فلن نخسر شيئًا ..

ــ أتمنى ذلك .



مســز ماكسـيوس ..

أنت تعلم من هى مسز (ماكسيوس) ، لذا لا داعى كى أصفها مرة أخرى ..

أما ما حدث معها فهو كالآتى .. بعد أن فرغت السيدة العجوز من عشائها ، طلبت من زوجها أن يصعد معها ، فأجاب بأنه لم يفرغ بعد من ذلك الفيلم ، فقبلته واتجهت وحدها إلى الغرفة كى تريح جسدها ، وتخلد إلى النوم ، وأغلقت بابها خلفها ، بعد أن اطمأنت أن كل شىء فى الفندق صار على ما يرام ، وذلك بفضل تلك الفتاة ، التى أتت منذ يومين ، والتى تشبه النحلة فى عملها ، والتى أراحتها كثيرًا منذ جاءت ، وأزاحت عنها الكثير من متاعب ، وأحمال ذلك الفندق التى لا تنتهى ، كما تقول ..

لذا أخبرتها أنها سوف تصعد لتنام ، وأن تهتم هى بزوجها ، وبالفندق فأخبرتها الفتاة بأن كل شىء على ما يرام ، وألا تقلق ..

فصعدت إلى غرفتها ..

وهكذا نجدها قد أبدلت ثيابها بأخرى تشـبه المنامة ، وأغلقت زجاج الشرفة كى تقى نفسها من ذلك الصقيع ، وكذلك أشعلت المدفأة لتبعث لها بعض الدفء ..

لا تعلم متى نهضت من النوم ؟!

ربما هى تلك العين الثالثة ، التى تنام وتبقى هى مفتوحة



شعرت بجسدها بالكامل يرتعد من شدة البرودة !

نظرت إلى المدفأة لتجد نارها خامدة .. لقد انطفأت !

تيك ... تييك .... تيييك !

زجاج الشرفة ، يحدث دوى معلنا عن فتحه !

لكن من الذى فتحه ؟ ربما شدة الرياح .. ربما .. أو ربما غفت قبل أن تتأكد من إغلاقها ؟

لا .. بالطبع لا .. إن ذاكرتها واهنة ، لكن ليس إلى ذلك الحد ، إلى حد أن تقتل نفسها من البرد ..

نهضت واتجهت إلى زجاج النافذة لتغلقه ، هنا انقطع التيار الكهربى !

يا لها من ليلة ..

قالتها ، وتقدمـت داخـل الغرفة ، وهى تصـطدم بكل شىء أمامها كالعمياء ..

تاك !!

عندئذ سمعت ذلك الصوت !

ــ من ؟

قالتها ، وهى ترتعد ، ثم أضافت بصوت مبحوح :

ــ أهو أنت يا (لوانا) ؟

ــ ....

لكن (لوانا) لم تجب ..

تيك ... تييك .... تيييك !

مرة أخرى صوت الخطوات يتقدم بتؤدة !

ــ هل هذا أنت يا (ماكسيوس) ؟

ــ ....

ــ إذًا هو أنت يا (ألونسو) .. أيها الفتى الرعديد .. أعلم أنه أنت ، وتريد أن تخيفنى ..

ــ قالتها ، وهى تفتح الدرج الخاص بالكومود ، لتلتقط شمعة ، وعلبة ثقاب ، تتناول منها عودًا لتشعله وتشعل به الشمعة ، لكنها قبل أن تشعل الشمعة تبينت صاحب الخطوات ، ارتعدت ثم تراجعت إلى الخلف فى ذعر ، وبدأت فى محاولة بائسة للصراخ ، لكنها بائسة كما أخبرتك فصوتها انحشر فى حلقها ، ولم يطعها ، وخرج مبحوحًا ، لا يكـاد تسـمعه هى نفسها ..

عندئذ كانت قد وصلت إلى زجاج الشرفة ، فألصقت ظهرها به ، وبدأت تفتحه دون أن تلتفت ، ثم دلفت إلى الخارج .. حيث البرد ، والأمطار ، ثم وبتردد ، نظرت إلى الشىء ، وإلى أسفل الشرفة ، فاختارت أن تلقى بنفسها إلى الأسفل ..

وبالفعل ألقت بنفسها من الشرفة ، وهى تطلق صرخة مدوية ، كادت نان توقظ الموتى !

وعاد التيار الكهربى ..

* * *

ـ الحمد لله ها قد عاد التيار مرة أخرى ..

قالها (ياسين) ، وهو يقلب يمسك الريموت الخاص بالتلفاز ، ويمر بين القنوات الفضائية الكثيرة ..

فى هذه اللحظة ..

تناهى إلى مسامعنا صوت ارتطام شىء ما بالخارج ، فاتجه (ياسين) إلى الشرفة ، وفتحها وأطل بجسده منها ، ثم صرخ قائلاً :

ـ السيدة العجوز .. لقد ألقت بنفسها من أعلى !

قالها ثم أخذ يركض متجهًا إلى الباب الخاص بالغرفة ليفتحه ويهبط إلى أسفل ، ومن ثم تبعته إلى حيث السيدة العجوز ..

* * *

عندما وصلنا كان هناك حشد لا بأس به قد التف حول جثة السيدة (ماكسيوس) ، من بينهم كانت (لوانا) .. التى أخذت فى البكاء على تلك السيدة ، وزوجها وجل النزلاء ، ثم تبرع أحدهم بالحديث قائلاً :

ـ لقد ماتت .. لابد أنها انتحرت .. هذا ما أعتقد أنه حدث ..

نظر إليـه السيد (سايرون) وأضـاف ، وهو ينفث دخـان غليونه فى الهواء :

ـ لا بد أن نتصل بالشرطة ..

* * *

فى الصباح كان الفندق كله فى أسـوأ حال ممكنة ، بعد وفاة السيدة العجوز ..

وأتى شرطى يدعى (باترشيو) ليحقق فى مقتل تلك السيدة العجوز ..

واستجوبنا جميعًا ، ثم أنصرف من الفندق ..

كنا قد حسمنا أمرنا فى أننا سوف ندخل القصر مرة أخرى .. لذا انصرفنا متجهين إلى قلعة الكونت مرة أخرى ، بالتحديد إلى قبو القلعة ، الذى عثرنا فيه على التابوت .

* * *



السيد سايرون ..

1

يقول السيد (سايرون) .. بعد أن يزفر الدخان الخاص بغليونه فى هواء الغرفة فى الحقيقة يا (لوانا) ، إننى لا أمقت ذلك الفتى الذى يدعى (تراجين) .. الذى يعمل حارسًا لقصر الكونت (فلاد) الوالاشى ..

وكذلك لا أحبـه ، لكننى أعلم أنه يبــدو مناسبًا لك ، خاصة بعد موت (مالفرينج) .

لقد حدثنى مرارًا عنك ، وطلب منى أن أحدثك فى ذلك الموضوع كثيرًا ، لكنى كنت أرجئ الحديث معك كثيرًا حتى تتحسن أحوالك وتفيقين من حادث (مالفرينج) كذلك ..

يصمت برهة ، ثم يردف :

ـ صدقينى .. إنه يهيــم بك حبًا .. إنه يعشقك بجنــون .. ولن تجدى مثله ..

تطأطئ رأسها إلى أسفل ، وتضيف :

ـ أعلم أنه يحبنى .. لقد صارحنى أكثر من مرة ، وكان يتردد على مرارًا عندما كنت أعمل بالحانة ، لكننى لم أكن أعبأ به ، فكان هنالك (مالفرينج) ..

لكن أعدك يا سيد (سايرون) ، أننى سأفكر فى ذلك الأمر ..

نظر إليها ، السيد (سايرون) ، وأضاف فى

ـ لكن هناك أمرًا آخر أود أن أخبرك به ..

ـ ما هو ..

قالها الرجل ، باهتمام وأضاف :

ـ شىء يخص النزيلين الجدد .. لقد أتوا إلى برسالة مكتوبة على قطعة من الخيش .. تقول : « لا داعى لذكر نص الرسالة مرة أخرى » ..

وهكذا أخبرها بفحوى الرسالة ..

وعندما فرغ .. أخذ نفسًا من غليونه ، وزفر الدخان مرة أخرى فى الهواء ، واعتدل فى جلسته ، وأضاف :

ربما كان الأمر كله هراء .. ثم صمت قليلاً كأنه يفكر ، وأضاف :

أو ربما كان أمرًا جللاً .. لكنه إلى الآن لا يخصنا ..

* * *



2

صدقنى يا سيد (سايرون) .. أن ذلك الـ (تراجين) غريب الأطوار بحق ..

لا بد أنه مخبول أو شىء من ذلك القبيل ، إنه يفعـل أشـياء غريبة لا يعقلها أحد ..

إنه لا يخرج نهارًا قط .. ثم إنه لا يأكل حلوى أبدًا .. ووجهه يزداد شحوبًا كل يوم .. وكذلك يعشق الدماء ، فعندما دمى أصبعى ، أمسك يدى بشدة ، وبدأ فى لعق الدماء ، التى نزفت من أصبعى ، مبررًا ذلك بأننى أجمل فتاة قابلها ، وأنه لن يترك دمائى الحلوة ، تسيل على الأرض .

ثم إننى لاحظت ، وأكاد أقسم لك أن جسده لا ينعكس فى المرآة !

تنهد السيد (سايرون) ، ونفس الدخان ، فى الهواء معبئًا الحجرة ، ثم أضاف :

ــ حسنًا سوف أتحدث إليه .. وأطلب منه تفسيرًا لكل ذلك ..

* * *

3

فى الليل ذهب السيد (سايرون) إلى منزل الفتى (تراجين) ، ووقف على باب شقته ، وأخذ يدق الجرس باستمرار ..

لكنه لم يتلق أية إجابة !

اين ذهب ذلك الفتى ؟

مرة أخرى لن تضر ..

ت نتن .. تن .. تن .

عندئذ سمع خوارًا كخوار الثيران ، يقول من الداخل :

ــ اذهب إلى الجحيم ، لن أفتح .. وإن فتحت فسوف ألتهم عنقك .. صدقنى

قاله (تراجين) من خلف الباب ، فارتعد السيد (سايرون) ، لكنه أضاف بصوت وقور :

ــ ماذا دهاك يا (تراجين) ؟ .. إنه أنا (سايرون) ..

ــ قلت لك أن تنصرف أيها الرجل ..

قالها ، وهو يزمجر مرة أخرى ، ثم أضاف :

ــ لا أريد أن أؤذى أحدًا .. صدقنى ، أيها الرجل أنا لا أريد أن أؤذى أحدًا ..

تعجب الســـيد (سايرون) مما قاله (تراجين) ، فلمـــاذا يقـــول ذلك الكلام ؟!.. هل أصابه العته أو الجنون ؟.. ربما ..

لكن ذلك كان كافيًا ، بأن يأخذ الرجل بعضه ، وينصرف وهو يسأل نفسه مائة سؤال ..

* * *

حفيـــدة فـلاد ..

ترن ترن ..

جرس الهاتف الخاص بالفندق يدق باستمرار ..

يذهب الصبى (ألونسو) كى يجيب ، ثم يصرخ على (لوانا) ، قائلاً :

ــ شخص ما يريدك ..

تترك (لوانا) ما كانت تفعله ، وتذهب لتلتقط السماعة .. فتجد أنفاسًا تتلاحق ، ثم صوت يتحدث قائلاً :

ــ (لوانا) .. إنه أنا .. (تراجين) ..

ــ (تراجين) .. لما لم تتحدث إلى فى هاتفى الخاص ..

ــ لقد فقدت هاتفى الخاص ، ثم لا وقت لمثل تلك التفاهات الآن ، أرجوك يا (لوانا) أريد أن أتحدث إليك ..

ــ تحدث .. ها هانا أسمعك ..

ــ لا لن يفيـــد الهاتف .. أريد مقابلتك ومقابلة الســـيد (سايرون) .. الآن ..

ــ لكن ..

ــ لا تقولى شيئًا .. فالأمر جد خطير .. أريد أن أقابلكما الآن .. الآن يا (لوانا) .. أنتظرك .

وهكذا أغلق الهاتف ، وتركها مبللة الأفكار ..

أغلقت هى الأخرى الهاتف ، وذهبت إلى غرفة السيد (سايرون) لتخبره بما حدث ..

* * *

أخذت (لوانا) تقص على الرجل ما حدث ، وأخذ هو يدخن غليونه ، ويصغى باهتمام ..

ما أن فرغت ، حتى أضافت :

ــ وما أعمل إذًا ؟

ــ هل هذا سؤال .. سنذهب إليه حالاً كما طلب منك ..

ــ لكنك أخبرتنى أنه ..

ــ مهما فعل ، فإنه يحتاج إلينا الآن ، وليس من ديدنى أن يحتاجنى أحد ، ولا أستجيب ..

وهكذا انطلق الاثنان فى طريقهما إلى (تراجين) ..

* * *



مشكلة حقيقية ..

فى هذه الاثناء ذهبت أنا وياسين إلى قصر الكونت ، ودلفنا إلى ذات المنطقة بعد أن تسللنا خفية إلى القبو ..

أضاء (ياسين) الكشاف ، وهو يقول :

لا ــ أصدق إلى الآن أن تلك المنطقة بكر .. لم يكتشفها أحد إلى الآن سوانا ..

نظرت إليه فى حنق ، وأضفت :

ــ ليتنا ما فعلنا ..

قلتها ، وقد وصلنا إلى الباب الخشبى العتيق ، ففتحناه ، وأصدر صريره المرعب إياه ، ودلفنا فى توجس ، وحذر ..

وجه (ياسين) الكشاف إلى التابوت ، المغلق .. وبدأنا فى الاقتراب منه بتؤدة حتى أصبحنا إلى جواره ..

تبادلنا النظرات ، ثم عاودنا الكرة ، وفتحنا الصندوق .. ..

لكنه كان فارغًا !!

ــ يا للكارثة !

ــ لقد عاد .. لقد كان هو ..

قالها (ياسين) وهو يولول كالنساء الثكالى ، وأضاف :

ــ يجب أن نبلغ الشرطة .. ولتتصرف هى بمعرفتها ..

ــ هــل جننت .. أنبلغ عــن أنفسنا أيها المعتــوه .. أنت من فعل بنا ما فعل ..

ــ بل أنت المعتوه .. وأنت السبب فيما نحن فيه .. بسبب فضولك عندما نزعت الوتد ..

ــ « اتركه » !!!

تردد ذلك الصوت الجهورى فى جنبات القبو ، فالتفت كلانا كى نرى مصدره ..

* * *

كان رجلاً عملاقًا ، شاحبًا .. ذا شارب كث ، كساه التراب !

أرتعد كلانا ، وذاب قلبى فى قدماى ، حتى لم تعد تستطيعان حملى .. نظرت إلى (ياسين) ، فوجدته لا يقول حرفًا عما كنت فيه ، إلا أنه سار يبكى كالأطفال ..

فتحدث الرجل قائلاً له :

ــ انهض يا مولاى !..

قالها وهو يدنو من (ياسين) ، الذى أخذ يولول ، تحامل على نفسه ، وسأله قائلاً :

ــ من أنت ؟

نظر إلى (ياسين) نظرته النارية ، وأضاف :

ــ (منيور) ..

قالها ، وهو يمسك بى من قفاى ، فصاح (ياسين) آمرًا إياه :

ــ اتركه ..

فأفلتنى ، وسقطت أرضًا ..

ما هذا إنه يطيعك يا (ياسين) ..

ــ ماذا ؟

قالها (ياسين) ، فأضفت :

ــ إنه يحسب أنك مولاه لمجرد أنك نزعت عنه الوتد ..

قلتها وقد بدأ الخوف يزول تدريجيًا ، فأضاف :

ــ نعم .. إنه مولاى .. إنه من حررنى ، وأعادنى ..

نظرت إلى (ياسين) ، الذى أضاف :

ــ إذًا أنت من ارتكب كل تلك الجرائم ..

ــ ليس بالضبط ..

قالها وهو يجلس على مقدمة التابوت .. فأضاف (ياسين) :

ـ إذًا من هو .. أتعرفه ؟

قالها (ياسين) إلى (منيـور) ، الـذى ابتسـم ، وبدأ يقص علينا كل شىء .

* * *

تراجيـن مـرة أخـرى ..

1

« القصر مظلم تمامًا إلا من ضوء مصباح أو اثنين واهنين ، يلقيان بضوئهم على المكان ، ليجعلاه أكثر رعبًا مما هو عليه ..

يا لَذَلِك المكان ..

صحيح إنه حارسه ، لكنه لم يدخله قط منذ تسلم نوبة الحراسة فيه ..

تاك .. تاك .. تاك !!

يتناهى إلى مسامعه صوت خطوات قادمة من الطابق العلوى !

المسدس ..

يتذكر مسدسه فيخرجه من طيات ملابسه ، ويشهره إلى الأمام للاشىء .. ويضيف بصوت لا يريد الخروج من حلقه من شدة الهلع :

ـ مـ... مـ... من ؟

ـ ....

يفكر مرة أخرى فى العودة ، فيلتفت إلى الخلف ، ليجد ذلك الشىء أمامه ، يشتم أنفاسه !

ود لو أنه ملأ الدنيا صراخًا ، لكنه لم يفعل ، لأنه شعر بتلك الأنياب تخترق جلده ممزقة إياه ، حاول المقاومة ، لكنه أحس أن جسده بالكامل قد خدر ..

أراد أن يصرخ ، لكن صوته احتبس ، وخرج فحيح ، لا يسمع ..

بدأ يشعر أن الدماء تنساب من جسده ببطء وتؤدة ، فلم يشعر بجسده إلا وهو يتهاوى على الأرض بلا حراك ..

* * *

أفاق وهو لا يعلم .. كم من الوقت قد مر عليه وهو فاقد للوعى ، لكنه أفاق فحسب ..

لكن ما هذا ؟!.. إنه يرى جيدًا فى الظلام ..

ثم إنه يشعر بتحسن لا شك فيه .. بكل تأكيد هو فى أحسن حال لم يكن فيه من قبل ..

تكتكتكت ..

ينظر إلى مصدر الصوت ، فيرى فأرًا يمر مسرعًا ، وسط جنبات القصر فى خفة .. لكن كيف رآه ؟!

بل كيف سمع صوته ؟!

ـ ها أنت ذا !!

يقولها صوت جهورى من خلفه ، فيلتفت ناحيته فى خفة رهيبة ، مصدرًا صوتًا أشبه بزمجرة الذئاب .. فأضاف الصوت :

ـ ها أنت ذا صرت خادمًا لى ..

قالها وهو يشير بيده إلى أسفل ..

فلم يدر (تراجين) بنفسه إلا وهو يجثو على ركبتيه ، قائلاً :

ـ أمرك يا مولاى !!

ـ أحسنت ..

قالها صاحب الصوت ، ثم أضاف :

ـ أنا (منيور) .. قائد قوات اللعين (فلاد) الوالاشى .. لقد عملت فى خدمته لسنوات عدة ، لكنه لم يصن الجميل ..

قالها (منيور) بأسى واضح ، وهو يتذكر ما فعله معه (فلاد) ، ثم عاد ليقص ما حدث معه :

ـ إن (فلاد) هذا لم يكن سوى شخصية سادية شريرة مما يمتلئ بها التاريخ .. لقد عاش حياته يبحث عن الخلود ، فعكف على دراسة الكيمياء القديمة أملاً منه فى ايجاد علاج لإطالة حياته إلى ما لا نهاية واستخدم لهذا الغرض دماء أكثر من ثلاث مائة طفل فى تجاربه ، والتى للأسف كان يجريها فى .. فى أنا ..

حتى صرت ذلك الكائن ، الذى تراه أمامك .. مصاص دماء ..

فأنا لست سوى مسخ صنعنى ذلك اللعين ، لخدمته ليس إلا ..

وكان يلقى لى بجثث الجنود ، أو القتلة ، الذى يخمد ساديته بهم إلى حتى أرتشف من دمائهم وقتما أشاء .. لذا عندما سنحت لى الفرصة لقتله .. فعلت !

قالها (منيور) ، وهو يرمق (تراجين) بطرف عينه ، ليجده لا زال جاثيًا على ركبتيه ، وعيناه تضيئان ، ويصغى باهتمام ، فأكمل :

ـ وعلى هذا .. فأنا من قتله ليس أحدًا آخر ..

ولقد بحثت حتى علمت كل من يمت (لفلاد) بصلة .. كى أنتقم منه ..

وأنت من ستقوم بتلك المهمة يا (تراجين) ..

ـ أمرك يا مولاى ..

قالها (تراجين) فى استسلام .. فابتسم (منيور) فى خبث .

* * *

فى تلك الأثناء كانت (لوانا) الفتـــاة الرقيقة ، تقف خلف باب شقة (تراجين) هى والسيد (سايرون) ، وأخذت تطرق الباب بسلامية يديها الرقيقة ..

ففتح لهما (تراجين) ، وهو فى أسوأ حال ممكنه ..

فتقدمت وجلست على أقرب مقعد بتؤدة ، وجلس السيد (سايرون) إلى جوارها ..

أخذت تحملق فى وجه (تراجين) ، الذى تحول إلى ورقة حال لونها تمامًا ..

ثم أضافت ، وهى ترتعد :

ـ ها نحن هنا .. ما الأمر ؟

أخذ يتمتم فى سره ببضع كلمات ثم أضاف :

ـ أود فى البادية أن أعتذر ..

ـ لا عليك .. لكن قـل لى ما الأمر الهـــام الذى أحضرتنا إلى هنا من أجله ؟

قالها السيد (سايرون) ، وهو ينفث دخان غليونه فى الهواء ، ويبدل من جلسته ، ويحملق فى قسمات وجه الفتى باهتمام وتفحص ..

شحب وجه (تراجين) أكثر مما كان عليه ، وبدأ يحملق فى سقف الغرفة ، ثم يحملق فى ساعة الحائط ، وهو يضيف :

ـ لم يتبق سوى دقائق لذا لا يقاطعنى أحد أرجوكم .

قالها ثم أخذ يقص عليهم ما حدث له بالضبط ..

« بالطبع أنتم قرأتم ما حدث ، لذا لا داعى لتكراره ، ولنبدأ منذ ....

* * *



2

فرغ (منيور) من قصته تلك ..

فنظر إليه (ياسين) فى حذر ، وسأله قائلاً :

ــ وهل فرغت من هذا ؟

ــ ليس بعد .. تبقى فتاة .. تدعى (لوانا) ..

ــ وهل ستقتلها ؟

ــ بالتأكيد .. سوف أنهى ما بدأته .

ــ وإن أمرتك بألا تفعل ..

ابتسم (منيور) ، وهــو يضيف بعــد أن احمرت عيناه ، وصار صوته أقرب إلى الزئير ، وسال الزبد من فمه :

ــ لا ..

قالها وقد صار فى تلك اللحظة شيئًا آخر .. شىء أقرب إلى الحيوانات المفترسة !

ثم غاب عن أعيننا فى ثوانٍ !!

* * *

3

ما أن فرغ (تراجين) من حكايته ، حتى قال السيد (سايرون) فى وقار :

ــ إذًا أنت من قمت بقتل السيد (مالكلوم كمسكى) .. وكذا (مالفرينج) ..

ــ ومسز (ماكسيوس) .. كذلك !

ــ انت ؟!.. أنت شيطان رجيم ..

قالتها (لوانا) ، وهى تتوارى خلف السيد (سايرون) ، الذى احتضنها بوقار ، وهو يضيف :

ــ هل هذا ما طلبتنا لأجله ؟

ــ لا .. لقد طلب منى أن ... أن أقتل .. (لوانا) !!

ــ ماذا ؟!

قالتها (لوانا) ، فى ذعر ، وأضافت :

ــ لماذا ؟.. وهل أنا من نسل ذلك الفلاد ؟

نظر لها (تراجين) ، وأضاف :

ــ نعم ..

قالها ، فانتفضت لتتوارى أكثر خلف السيد (سايرون) ، الذى نهض متصلبًا ، منتفشًا كالطاووس وهو يضيف :

ــ ها أنت ذا أيها اللعين ، أتيت بنا إلى هنا لتوقعنا فى الشرك لتقتل تلك البريئة .. إياك أن تمسها بسوء ، وسوف أحطم عنقك ..

قالها وهو يعلم جيدًا فى قرارة نفسه قدرة (تراجين) على الفتك به ..

فنظر إليه (تراجين) ، ثم أعاد نظرة إلى الفتاة وأضاف :

ــ لو أردت أن أفعل لفعلت يا سيد (سايرون) ، لكننى لم أفعل .. فقد خرجت عن طوعه ، ... لأجلك أنت ..

ــ إذًا أنا الأخرى مهددة بالقتل وسوف ..

قالتها (لوانا) فقاطعها (تراجين) قائلاً :

ــ لن أدعه يفعل .. دعيه يدنو منك وسوف أمزق عنقه ..

قالها (تراجين) ، فابتسمت (لوانا) فى حياء وقد بدأت مخاوفها فى التبدد ، ثم ..

ترااااااااااااااااااااااك!!

صوت صفع الباب ، ثم يظهر (منيور) من خلفه ، مبتسمًا ابتسامته الصفراء ، ويضيف :

ــ ها أنا ذا .. أرنى كيف ستمزق عنقى ؟

ما أن فرغ (منيور) من كلماته ، حتى وثب عليه (تراجين) كالذئب المفترس ، وبدأت معركة دامية ..

توارت (لوانا) خلف السيد (سايرون) ، وهى تصرخ فى فزع ، وخوف ..

* * *

4

فى ذلك الوقت ، غادرت أنا و(ياسين) القصر .. واتجهنا إلى الشرطى (باتريشو) ، وأخذنا نقص عليه ما حدث بالضبط ، طالبين مساعدته كى نوقف ذلك الشيء وبالطبع لننقذ (لوانا) ..

أخذ يرمقنا فى فضول وتشكك ، وهو ينصت ويسحب من لفافة تبغه عدة أنفاس ، زفرها بعد ذلك فى سماء غرفته ..

فأضاف :

ــ وهل تطلبون منى أن أصدق ذلك الهراء ؟

ــ أقسم لك أيها المفوض أن هذا ما حدث .. إننا فى مواجهة (فامفيرى) !

قالها (ياسين) ، فنظر له الشرطى وهو يتذكر كلمات القس ، التى قالها فنهض متحمسًا ، وهو يضيف :

ــ إذًا من أين نبدأ ؟

ابتسم لى (ياسين) ، وهو يضيف :

ــ من الفندق .

* * *

ما أن وصلنا إلى الفندق حتى وجدنا ذلك الصبى (الونسو) ، الذى أخذ يتلعثم أمام الشرطى ، عندما سأله عن (لوانا) ، ثم أخبره الصبى بأنها خرجت بصحبة ذلك الرجل الفرنسى إلى منزل (تراجين) ..

سأله الشرطى عـن عنـوان (تراجين) ، فأخذ يضع أصبعه فى فمه ويأكله ، ثم أضاف :

ــ هناك ..

يا له من غبى ..

ــ وأين ذلك الـــ هناك ؟

قالها الشرطى بنفاذ صبر ، فنظر إليه الصبى ، وبدأ يخبره بالعنوان تفصيلاً ..

* * *



يــبدو أنهــا النهــاية ..

ما أن وصلنا إلى شقة (تراجين) ، حتى تناهى إلى مسامعنا صوت عراك شنيع بالداخل ..

فأخذنا نضرب الباب بأكتافنا ، حتى تحطمت هى والباب معًا ، ودلفنا إلى الداخل .. كان ما شاهدناه رهيبًا بحق ..

كان (منيور) ، وشخص ما ، خمنت أنه (تراجين) .. يتعاركان فى معركة ضوارى بالفعل ، والدماء تناثرت فى كل مكان تقريبًا .. وسط حطام ملأ كل مكان تقريبًا ..

أمسك الشرطى بمسدسه ، وصوبه تجاه الكائنين ، وصاح كالمعتوه :

ــ تجمدوا مكانكم ..

نظر إليه (منيور) و(تراجين) ، وهما يزمجران ، ثم لم يبال أحدهما به ، وأكملا العراك ..

طاااخ ..

أطلق رصاصة من الخلف اخترقت جسد (منيور) دون أن يتأثر !

يا إلهى ..

قالها الشرطى ، ثم ضغط مرة أخرى ..

طاااخ ...

لكن لا جدوى ..

هنا طرح (منيور) بـــ (تراجين) أرضًا ، بعد أن غرس أنيابه فى عنقه ، وأخذ يلكمه بعنف ثم التفت إلى الشرطى وقد احمر وجهه ، وأصبح لا يمت لعالمنا بصلة ، وأخذ الزبد يخرج من فمه ..

فارتعد الشرطى ، وأخذ يردد كلمات ، لا أفهمها .. ربما هى من صميم ديانته ..

نظرت إلى (ياسين) ، الذى أخذ يسب العالم بأثره ثم فر هاربًا خارج الشقة ..

* * *

كان (منيور) قد دنا من الشرطى الذى لم يعد له مفر ، فأمسكه من عنقه ، ورفعه إلى أعلى ، دون أن يقاوم ..

تناولت أنا عصا مكنسة ، كانت ملقاة على الأرض ، وهشمتها إلى نصفين على ركبتى ، التى تهشمت بدورها ، صانعًا وتدًا لا بأس به ..

هنا نظر إلى السيد (سايرون) ، الذى تجمد فى مكانه محتضنًا تلك الفتاة (لوانا) ، واكتفى بمتابعة ما يحدث ، وأضاف بوقار :

ــ قلبه .. صوبه إلى قلبه مباشرة ..

لم أعره اهتمامًا ، لأننى كنت أهرول ناحية (منيور) مصوبًا ؟؟ إلى قلبه بالفعـــل ، لكنه التفت إلى ، وبضربة واحـــدة كومنى إلى جوار أحـــد الجدران ..

فتحت عينى بصعوبة بالغة ، فرأيت (تراجين) ، ينهض متحاملاً على نفسه ، وجسده يزرف دما ، ينقض على (منيور) مصدرًا زئير يشيب له الولدان .. فأفلت (منيور) الشرطى ، الذى غاب عن الوعى ، ولم يتحمل ما يحدث ..

ودارت معركه دموية أخرى بين الكائنين ..

فى هذه الأثناء تركت (لوانا) ذراعى السيد (سايرون) ، انحنت لتلتقط النصف الآخر من العصا الخشبية التى هشمتها .. واتجهت إلى (منيور) فى تؤدة وحذر ..

وبكل قوة ركضت فجأه ناحيته قابضة على الوتد الذى صنعته أنا ، حتى أوغلته بالكامل فى قلبه مباشرة من الخلف .. حتى خرج طرف الوتد الحاد من الأمام ، ممتلئًا بالدماء ..

التفت إليها ، بعد أفلت (تراجين) ، وبدأ يحملق فى السماء بعينين شاخصتين ، ثم تهاوى على الأرض فى مشهد مسرحى للغاية ..

وسقط (تراجين) بدوره على الأرض ..

نظرت (لوانا) إليه فى أسى ، فبادلها (تراجين) بإماءة ذات معنى .. فتناولت باقى تلك العصا ، التى طارت من يدى ، ورفعتها إلى أعلى ، و.....

* * *

الخـــاتمـة

ــ « الرجاء من حضرات السادة الركاب ربط الأحزمة »

وهكذا تجدوننى أجلس داخل الطائرة متجهًا إلى بلدى مصر ، بعد رحلة شاقة رهيبة ، لكنها مثيرة كذلك ..

بعـــد أن ودعت كلاً مـــن (لوانا) ، وكذلك السيد (سايرون) .. و(ياسين) ، الذى صار صديقى إلى الأبد ..

وقد واعدنى أن نتقابل فى بلده أو بلدى لا فارق بينهما ..

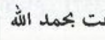
ــ « الرجاء من حضرات السادة الركاب ربط الأحزمة »

وهكذا دوى الصوت مرة أخرى آمرًا الجميع بربط الأحزمة استعدادًا للإقلاع ..

فربطت الحزام ..

وبدأت الطائرة بالتحرك ..

* * *







أحمد فكرى

خادم الكونت

هذه قصة تتحدث عن أدب الرعب
القوطـى وقلاعـــه الغامضـــة..
تتحـــدث عن مصاصى الدمـــاء ..
تتحـــدث عن خـــادم الكونـــت ..
عن منيـــور .. بـــازاك ، ولوانـــا ..

19/12/015




www.rewayatmasreya.com
facebook.com/rewayatmasreya



